

الأنثروبولوجيا الفرنسية: التاريخ والآفاق

د. عبد الله عبدالرحمن يتيم *

E.mail: ayateem@uob.edu.bh

* مركز دراسات البحرين - جامعة البحرين

الأنثروبولوجيا الفرنسية: التاريخ والآفاق

د. عبدالله عبدالرحمن يتيم

الملخص:

شكل غياب كلود ليفي ستروس عن الساحة الفكرية والفلسفية والأنثروبولوجية في فرنسا عام 2009م، مناسبة أمام النقاد والمتخصصين في تاريخ العلوم لإلقاء المزيد من الضوء على الحالة الفكرية والفلسفية في فرنسا من جهة، وكذلك لإنجاز الكثير من المراجعات النقدية لمسار الأنثروبولوجيا الفرنسية من جهة أخرى. تشدد هذه المقالة المطولة، تقديم مراجعة نقدية للمسار التاريخي لهذه المدرسة العريقة التي تركت تأثيرات وبصمات كبيرة ليس في المجال الأنثروبولوجي وحده، بل في الفكر الإنساني عامة. سوف تتوقف هذه المقالة أمام المحطات التاريخية الكبرى في مسار الأنثروبولوجيا الفرنسية، وأيضاً أمام التحولات التي مرت بها ودور كبار شخصياتها المؤثرة في تلك التحولات. وسوف تخلص المقالة إلى إبراز ما يمكن اعتبارها السمات الأبرز التي ميزت هذه المدرسة عن غيرها، الأمر الذي جعل من إسهاماتها متميزة ومغايرة عن غيرها من المدارس الأنثروبولوجية.

مصطلحات أساسية: الأنثروبولوجيا الفرنسية، تاريخ الأنثروبولوجيا، الفولكلور، الأنثروبولوجيا، الفكر الاجتماعي.

French Anthropology: History and Prospects

Dr. Abdullah A. Yateem

Abstract:

When Claude Levi-Strauss passed away in 2009, his permanent absence from the philosophical, intellectual and anthropological arenas paved the way for a suitable opportunity for the scholars and critics of the history of science to shed more light on the intellectual and philosophical status in France. His absence also provides them with the occasion to accomplish a great deal of critiques and reviews on the trajectory of French anthropology. This essay intends to provide a critical review of the historical trajectory of this eminent school; a school which has left a prominent impact not only on the anthropological sphere but also on the entire human thought. As such, this essay intends to focus on some of the most historically important junctures in the course of history of French anthropology. It also draws the attention to the transformations that the school has gone through and the influential role which has been played by its grand personages in those transformations. In its epilogue, the essay draws further attention to what it envisages as the prominent features which have distinguished this school from other schools, and it focuses on what made its contributions notable and different.

Keywords: French Anthropology , History of Anthropology , Folklore , Ethnology , Social Thought

المقدمة :

وعلى الرغم من ذلك الإسهام، والنفوذ المتعاظم للمدرسة الفرنسية، إلا أن نصيبها من البحث والدراسة ظل قليلاً في نطاق الدراسات المنشورة عنها باللغات الأوروبية، أما في نطاق اللغة العربية فيكاد يكون الأمر نادراً، إن لم يكن معدوماً⁽¹⁾ وعليه فإن هذه الدراسة تطمح لسد بعض من أوجه هذا النقص، من خلال تسليط الضوء على تاريخ هذه المدرسة ومحطاتها الرئيسية وأعلامها البارزة، بهدف الوقوف على المعالم البارزة للشخصية العامة للأنثروبولوجيا الفرنسية.

من الفلسفة إلى الإثنوغرافيا :

تنتمي الأنثروبولوجيا الفرنسية المعاصرة إلى بدايات القرن العشرين، حيث أخذت شخصيتها في التبلور مما جعل منها مدرسة في الأنثروبولوجيا تختلف عن نظيراتها: المدرسة البريطانية والأمريكية. وتستمد هذه الشخصية تجربتها وتميزها من تقليدين أساسيين: من الناحية الأولى، امتازت هذه المدرسة باستمرار استنادها إلى تقاليد «النظريات الكبرى»، ومن الناحية الثانية على الدراسة التفصيلية والصارمة للحقائق والمعلومات. وقد شهد تاريخ المدرسة الفرنسية استقطابات حادة بين كلا الاتجاهين في مراحل معينة من تطورها، وفي مراحل أخرى ساد التكامل والتعاون بين الاتجاهين. وتعكس التجارب والأعمال الأنثروبولوجية الفرنسية خلال ما يزيد عن القرن مسار كلا الاتجاهين وتأثيراتهما في الخلاصات النظرية التي نتجت عنها والتي أخذت تترك تأثيراتها في الأكاديميات والمعاهد الفرنسية وغيرها في القارتين الأوروبية والأميركية.

لا تزال تستوقف الأنثروبولوجيا الفرنسية الدارسين لتاريخ الفكر الأنثروبولوجي، خاصة لجهة تميُّز نظريات ومناهج هذه المدرسة العريقة، بل حتى شخصيتها الفكرية العامة عن بقية المدارس الأنثروبولوجية. ولعل من العلامات البارزة لتميُّز هذه المدرسة، هو الدور الذي أدّاه عدد من الأنثروبولوجيين الفرنسيين منذ النصف الثاني من القرن العشرين، مثل: كلود ليفي ستروس، بيير بورديو، لويس دومون، موريس غودلييه، وميشيل ليريس، في الفكر والنظرية الأنثروبولوجية؛ خاصة إذا ما تمت مقارنة هذا الدور بالدور الذي أدّاه السوسيولوجيون والمؤرخون الفرنسيون، مثل: أميل دوركايم، مارسيل موس، فرناند بروديل، ومارك بلوخ، عبر تجاربهم في مدرسة «الحوليات» عامة، و«الحوليات الاجتماعية» و«الحوليات التاريخية» خاصة. في تطور العلوم الاجتماعية والإنسانية في العالم الأنكلوساكسوني.

فإذا كان دوركايم وبروديل وبلوخ قد تمكنوا من لعب دورهم في تاريخ تلك العلوم من خلال «مدرسة الحوليات» واحتلالهم المشهد الفكري منذ النصف الأول من القرن العشرين، فإن معالم هذا المشهد قد أخذت تتغير في النصف الثاني من القرن العشرين، من جراء تأثير أعلام أنثروبولوجية فرنسية بارزة، مثل: ليفي ستروس، بورديو، دومون، غودلييه، ليريس، وآخرين. لقد أتى هؤلاء بمفاهيم ونظريات أنثروبولوجية مختلفة عن تلك البريطانية والأمريكية السائدة آنذاك، بل أتوا بأعمال إثنوغرافية لافتة جعل منها علامات فارقة في تاريخ الفكر الأنثروبولوجي.

والأدب، إلى درجة أنه كان لكل التطورات الكبرى في المجالات الأنثروبولوجية الفرنسية انعكاساتها وتفاعلاتها خارج النطاق الضيق للعلم ذاته. ولعل قراءة سريعة للسير الذاتية لأبرز الأنثروبولوجيين الفرنسيين تكشف لنا مدى انشغالهم بالقضايا الفكرية والاجتماعية التي كانت محل شداً وجذباً في الحياة الثقافة والسياسية العامة في فرنسا، فهكذا كان شأن دوركايم وليفي ستروس وبوردو وغودلييه مثلاً. ومن نماذج تلك الانشغالات السجال المعروف الذي دار بين الفيلسوف الفرنسي «جان بول سارتر»، قطب الوجودية آنذاك، وليفي ستروس البنيوي من جهة أخرى. كان هجوم «سارتر» على بنيوية ليفي ستروس يتمحور حول نقده للطابع الحتمي الذي أراد لها ليفي ستروس، وهو ما يتعارض برأي سارتر مع الإرادة الحرة والمسؤولية الأخلاقية للفرد⁽³⁾ وقد حمل «العقل البري» ردود ليفي ستروس العنيفة على سارتر والوجودية كلفسة، مدافعاً في الوقت نفسه عن رؤيته الأنثروبولوجية والفلسفية. وفي رده على سارتر، بلغ الأمر بليفي ستروس أن صور الفلسفة باعتبارها أمراً لا طائل من ورائه مقابل «الأنثروبولوجيا الإنسانية» التي كان يسعى لتشييدها، بل وصل الأمر به أن رفض الطريقة التي كانت الفلسفة الفرنسية تنظر بموجبها إلى مفهوم «الموضوع»، وهو برأيه أمرٌ لم يأخذها بعيداً عن «الكوجيتو» الديكارتي. كما تصدى بقوة لرؤية سارتر السياسية حيث وجد أنها ليست أكثر من تطويرية مُحدثة تنحو إلى تكريس تفوق الإنسان الغربي، من خلال الرغبة في إدماج شعوب العالم الثالث في الفلك الغربي وذلك عبر نشر القيم الغربية بينهم بغية

أما على المستوى العام، فالمدرسة الفرنسية تمتاز على المستوى الأنثروبولوجي بتشابك وانشغال الأكاديميين والباحثين فيها بالقضايا الفكرية والفلسفية التي تشغل الحياة الفكرية والفلسفية العامة في فرنسا والتي تقع بطبيعتها خارج أسوار الأكاديميات المعروفة، وهي في هذه الخصيصة لا تختلف عن بقية العلوم الاجتماعية والإنسانية في فرنسا. وهكذا لعب تماهي الحياة الأكاديمية مع الحياة الفكرية والثقافية العامة دوراً في لعب عدد من الأنثروبولوجيين الفرنسيين أدواراً مهمة في الحياة الفكرية والثقافية العامة. وقد ابتدأ هذا التقليد عند «أميل دوركايم» و«مارسيل موس»، وتواصل بعد ذلك مع «كلود ليفي ستروس»، مروراً بأسماء كثيرة، حتى شهدنا ذلك لدى «موريس غودلييه» و«بيير بوردو» في العقد الأخير من القرن العشرين.⁽²⁾

لقد كان للشخصية الثقافية الفرنسية أثرٌ في تشكّل معالم الأنثروبولوجيا الفرنسية، ذلك أن فرنسا تمتلك ثقافة فكرية عامة وفرت هامشاً كبيراً للمتعلمين من العامة للانشغال بالقضايا الفكرية والفلسفية، وهي من المميزات التي جعلت التجربة الفرنسية تختلف عن مثيلاتها في بريطانيا وأمريكا الشمالية. لذا فليس بمستغرب أن تحتل شخصية مثل ليفي ستروس تلك المكانة المهمة في الحياة الفكرية العامة، وذلك ليس بصفته أنثروبولوجياً أو أكاديمياً مرموقاً، بل بصفته كاتباً يمتلك نصوصاً نثرية تمتاز بالجمال والرقّة الأدبية والعمق الفلسفي. وهكذا أصبحت الأنثروبولوجيا الفرنسية، من خلال انشغالها بالحياة الثقافية والفكرية العامة، أكثر ارتباطاً بالعلوم الإنسانية الأخرى وبالفلسفة

هو تكامل واندماج الجانب النظري الأنثروبولوجي بالشق العملي الإثنوغرافي، أما الأنثروبولوجيا الفرنسية فقد امتازت منذ سنواتها الأولى وحتى عقود قريبة جداً بانفصال الشق النظري عن العملي، فالأنثروبولوجيون أصبحوا موزعين بين صنفين: الصنف الأول نظري يتسم بضعف تجاربه الحقلية الإثنوغرافية ولنا في موس وليفي ستروس مثال على ذلك، حيث امتازت تجاربهما الحقلية بمحدوديتها، فعلى سبيل المثال لم يمتد العمل الحقل لموس في المغرب أكثر من ثلاثة أسابيع خلال عام 1959م؛ أما ليفي ستروس فقد عُرف عنه عدم قيامه بأي عمل حقل على النمط المالمينوفسكي، إذ إنه حتى خلال عمله بجامعة سان باولو (1935-1938م)، اقتصر أعماله الحقلية على القيام بزيارات قصيرة اتسمت بكونها رحلات استكشافية للمناطق الداخلية النائية من البرازيل، بالأمازون المعروفة. حيث ستشكل الملاحظات الإثنوغرافية التي جمعها مادة لتحليلاته اللاحقة لموضوع «الأسطورة». وقد امتازت تجاربه الإثنوغرافية تلك بطابعها الاستكشافي وبعدم ملامستها العميقة، عبر العمل الحقل الإثنوغرافي، للحياة اليومية لتلك المجتمعات. كما بلغ الحال بليفي ستروس أن أعرب بنفسه مراراً عن عدم حُبِّه للعمل الحقل، وهو مما يعتقد الباحثون كونه سبباً في عدم مواصلته بعد ذلك لمسيرته المهنية كأنتروبولوجي مُحترف.⁽⁷⁾

والحال، فقد غلبت إذاً على هذا الصنف من التجارب براعة أصحابها في توظيف تلك التجارب الإثنوغرافية في أفكارهم ونظرياتهم الأنثروبولوجية وغيرها، ونشمل معها في هذا المقام تجربة بيير بورديو

«انتشالهم من حالة التخلف التي يعانون منها»⁽⁴⁾ وبرأي ليفي ستروس فإن ذلك يُعد تعبيراً عن تكريس مركزية الذات الأوروبية التي تسعى بطبيعتها إلى التقليل من قيمة الثقافات الأخرى، بل وتحرمهما حتى من حق الاختلاف.⁽⁵⁾

وعلى الرغم من كل تلك الإنجازات الفكرية، إلا أن العلاقة بين الأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا، أي بين المجالين النظري والعملي، ظلت أسيرة حالة من الالتباس. وفيما يأتي سنعرض لتلك الحالة من خلال منظورين مختلفين، وربما متعارضين؛ حيث إننا نرى أن في طبيعة تلك العلاقة ما يمكن أن يكشف لنا عن ملامح مهمة في شخصية الأنثروبولوجيا الفرنسية.

الحاجة للسرد الإثنوغرافي:

المنظور الأول يستدعي أهمية أن يتوقف الدارس لتاريخ الأنثروبولوجيا الفرنسية أمام سمة عامة ميزتها على الصعيد المنهجي عن مثيلاتها في العالم الأنجلو ساكسوني، فبعض الدارسين لتاريخ الأنثروبولوجيا، مثل «روبرت باركن»، يرون أن الأخيرة قد امتازت بتكامل واندماج حقيقي بين الانشغال النظري والعملي على المستوى الأنثروبولوجي، فالإسهامات النظرية هناك كان مصدرها شخصيات أنثروبولوجية عُرف عنها قيامها بأعمال حقلية إثنوغرافية في مجتمعات وثقافات معينة نتجت عنها نظرياتهم وإسهاماتهم الفكرية التي أصبحت معروفة بعد ذلك. ولعل المثال الأبرز على الصعيد العام وليس الحصري «مالمينوفسكي» في بريطانيا و«بواز» في أمريكا.⁽⁶⁾ وعليه أصبح ما يميز كلاً من الأنثروبولوجيا البريطانية والأمريكية،

إداريي المستعمرات والمبشرين والضباط العسكريين وغيرهم، بإنجاز أعمال حقلية اتسمت بالهزلة مقارنة بأقرانهم آنذاك في بريطانيا وأمريكا والمانيا وهولندا على سبيل المثال.

كما برزت عوامل أخرى في مسيرة الأنثروبولوجيا الفرنسية كان لها الدور البارز في مضاعفة إشكالية الانفصال بين الجانب النظري والعملي وتأثيراتها في إنتاج المعرفة النظرية الأنثروبولوجية، فقد كان لغياب التخوم والاحتراف الأكاديمي في ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية الأثر السلبي في عدم وجود الحدود الفاصلة والواضحة المعالم بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والإثنولوجيا، وهو ما تسبب في عدم معرفة من هم أولئك الأنثروبولوجيون بين كبار شخصيات تلك العلوم، فكان أحد الدارسين لتاريخ الأنثروبولوجيا الفرنسية يتساءل: هل يمكن اعتبار دوركايم فيلسوفًا أم عالم اجتماع؟ وهل موس وبوردو عالما اجتماع أم أنثروبولوجيان؟ وماذا عن «ميشيل فوكو»: هل هو مؤرخ أم عالم اجتماع؟⁽¹¹⁾ ومن تأثيرات تلك الخاصية، كما يرى أحد الدارسين أيضًا، أن هناك قدرًا من الالتزام والتقييد الشخصي من قبل صاحب النظرية بالخط الفكري الذي دشنته وهو ما سيطلع مستقبل مسيرته الفكرية والمهنية؛ وهي تجربة تختلف عن مثيلتها في بريطانيا وأمريكا، إذ من المستحيل أن نجد تجارب في فرنسا لشخصيات شبيهة بتجربة «وليم ريفيرز» في بريطانيا و«مارشال سالينز» في أمريكا.⁽¹²⁾ وعلى الرغم من ذلك، هناك استثناءات في المدرسة الفرنسية، نذكر منها: «لويس دومون» و«موريس غودلييه». وحيث امتازت تجارب هذين بالتفوق بل بالتميز على

في الجزائر.⁽⁸⁾ أما الصنف الثاني، فقد حاول أن يمتاز بتمكنه من تجارب العمل الحقلية الإثنوغرافية، ولكن بمحدودية توظيف تلك التجارب في الأطر النظرية العامة، لذا لم تأت تجارب هؤلاء وأعمالهم الحقلية بالثمار المتوقعة، فتجارب «مارسيل غرويل» والفريق المصاحب له في «بعثة دكار-جيبوتي» في مجال الإسهام النظري الأنثروبولوجي ظلت محدودة قياسًا بتجربة كل من «أرنولد فين جنب» و«روبرت هيرتز»، هذا على الرغم من أن هذين الأخيرين قد أنجزا أعمالًا إثنوغرافية في مجتمعات وثقافات أوروبية.⁽⁹⁾ وبالرغم من محاولات أصحاب تلك التجارب الحقلية تكريس أثر أعمالهم الإثنوغرافية ومناهج العمل الحقلية في إنتاج المعارف النظرية والإثنولوجية منها أو الأنثروبولوجية، إلا أن تجاربهم تلك لم يكتب لها النجاح المفترض. ويعزو بعض الدارسين تلك الحالة إلى الموقف السلبي الذي اتخذته دوركايم ومدرسته لاحقًا من الفولكلور وأعمالهم الحقلية في أوروبا، خاصة خصوماته المعروفة مع فين جنب، ومحاولة الأخير دحض أنثروبولوجيا المقاعد الوثيرة التي كانت سائدة بين أتباع المدرسة الدوركايمية، وذلك من خلال إصراره على مواصلة أعماله الحقلية الإثنوغرافية في مجتمعات محلية أوروبية متفرقة.⁽¹⁰⁾

وكان من بين العوامل التي عززت من ضعف تجربة العمل الحقلية خلال تلك الفترة الزمنية من تاريخ المدرسة الفرنسية، تأثير تجارب الهيمنة الكولونيالية الفرنسية التي أتاحت الفرصة أمام تلك الإدارة الكولونيالية لقيام مجموعة من الإثنوغرافيين، من المحترفين والهواة منهم مثل:

يبدو جلياً في ما كانت توليه للمجتمعات البشرية من مكانة مركزية بشكل شامل، مع الميل الواضح نحو تحليل الأنظمة والأنساق ذات الصلة بالتمثيلات الاجتماعية.⁽¹⁵⁾ كما رجحت الأنثروبولوجيا الفرنسية أولوية، بل أسبقية الكل على الأجزاء، وكذلك الارتباط الوظيفي المتبادل بين مكونات النظام أو النسق، وكذلك على أهمية الوقوف على علاقات الترابط بين تلك المكونات. ولعل مثل تلك الاهتمامات ما جعل الأنثروبولوجيا الفرنسية تختلف عن نظيرتها البريطانية والأمريكية، لذا فإنه ليس بمستغرب أن نجد أن الجزء الأعم والأكثر تأثيراً للأنثروبولوجيا الفرنسية خارج فرنسا إنما يمتاز بجذوره النظرية. كما أن السعي وراء العمل الإثنوغرافي لم يكن غايته التوصل إلى صياغة نظرية ما في الثقافة، بل البحث في التساؤلات الفلسفية ومخاضاتها في الساحة الفكرية الفرنسية. وقد تقف الخلفيات الأكاديمية لعدد من رواد هذه المدرسة وراء ذلك المنحى الفلسفي والنظري. فقد لعب التأهيل الأكاديمي ودراسة الفلسفة دوراً كبيراً في جعل شخصيات بارزة منهم، وعلى سبيل المثال لا الحصر: كدوركايم، وموس، و«لوسيان ليفي برويل»، وليفى ستروس، وبورديو، أقرب إلى الفلاسفة، سواء بحكم التأهيل أو المزاج العام. فقد اعتمد هؤلاء في صياغة نظرياتهم بناءً على ما كان يأتي به الإثنوغرافيون، من مختلف الجنسيات، من معلومات ميدانية عن تلك المجتمعات والثقافات البعيدة التي قاموا بدراساتها. لذلك سيلاحظ الباحث المهتم بدراسة تاريخ الأنثروبولوجيا الفرنسية، أن تلك البراعم هي التي شكلت المعالم الأولى لانطلاقة

الصعيدين النظري والعملي، فقد أسهمت أعمالهما الإثنوغرافية والأنثروبولوجية في إحداث تحولات كبيرة ليس على مستوى المدرسة الفرنسية فحسب، وإنما على النطاق العالمي كذلك.⁽¹³⁾

والحال فإن الأنثروبولوجيا الفرنسية وإن أبدت خلال تلك العقود اهتماماً عميقاً بالإثنوغرافيا، فإن هذا الاهتمام ظل معزولاً عن الانشغالات النظرية التي كانت هي الأخرى عميقة الطابع، فالتحليل الإثنوغرافي ظل منفصلاً عن مثيله الأنثروبولوجي، فقد ظل الانشغال بتحليل المادة الإثنوغرافية في معزل عن أي جهد أو منهج مقارنة، بل عن أي جهد على مستوى التأويل الأنثروبولوجي النظري.⁽¹⁴⁾ وهو الأمر الذي جعل من الإثنوغرافيا الفرنسية تتصف بالطبيعة الإمبريقية الصارمة، ولكنها في الوقت نفسه بعيدة كل البعد عن أي استنتاجات أو آفاق نظرية. وحتى نستكمل هذا المشهد التحليلي لتلك الالتباسات في تاريخ المدرسة، علينا مقارنته في ضوء المنظور الآخر، حيث سنتمكن من الوقوف على العلاقة الملتبسة بين الانشغال النظري والعملي، أي بين الأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا.

ضرورات النظرية الأنثروبولوجية :

حسب هذا المنظور، فإن الانشغال بالدراسة التفصيلية والصارمة للحقائق والمعلومات، كخاصية ميزت المدرسة الفرنسية، لعبت دوراً على سبيل المثال في تمكين هذه المدرسة من تحقيق تقدم كبير على صعيد الشمولية والحرفنة التي تتطلبها الدراسات الأنثروبولوجية، أما على صعيد تأثيرات القضايا النظرية الكبرى في أعمال هذه المدرسة، فإن ذلك

مصدرًا لقوة ونفوذ الشخصيات الأنثروبولوجية التي عملت فيها، مثل: «جيمس فريزر»، و«إدوارد تايلور»، و«رونيسلاف مالينوفسكي»، و«رادكليف براون»، و«إيفانز بريتشارد»، و«ريموند فيرث»، و«إدموند ليش»، و«ماير فورتن»، و«إرنست غيلنر»⁽¹⁶⁾. أما المدرسة الفرنسية، فقد اختطت لنفسها طريقًا مغايرًا، إذ تمحورت تلك الاتجاهات والنظريات والمدارس الأنثروبولوجية التي احتضنتها حول الشخصيات العاملة في هذا الحقل. وقد استمدت معظم تلك الشخصيات سلطتها ونفوذها الأكاديمي من مكانتها الفكرية والفلسفية التي تم تأسيسها خارج أسوار الأكاديميات المعروفة، وهكذا شكّل التحاق تلك النخبة بالعمل كأساتذة في المعاهد ومراكز الدراسات المتفرقة مصدرًا للصيت والسمعة المميزة لتلك المعاهد والمراكز، ومن ثمّ الأكاديميات التي تحظى برعايتها. فمراكز الاستقطاب للأسماء اللامعة في عالم الأنثروبولوجيا في فرنسا، مثل: أميل دوركايم، ومارسيل موس، ولوسيان ليفي برويل، وموريس لينهاردت، وكلود ليفي ستروس، ومارسيل غرويل، وروبرت هيرتز، وأرنولد فان جنب، وميشيل ليريس، وجورج هنري ريفيير، وموريس غودلييه، وبيير بورديو، وجورج بالاندييه» كانت أقسامًا جامعية، وكراسيّ لأساتذة في الأكاديمية الفرنسية، والكوليدج دو فرانس، والمدرسة التطبيقية للدراسات العليا، ودار المعلمين العليا، والمركز الوطني للبحث العلمي، ومركز الدراسات الاجتماعية، ومدرسة الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية، والمعهد الوطني لدراسة اللغات الشرقية. كما شكلت بعض الأقسام ومراكز الدراسات الأكاديمية في عدد من الجامعات

الدراسات الحقلية في مسيرة هذه المدرسة، والتي صاغت بدورها بعد ذلك شخصيتها وذلك بالتداخل مع نظريات الرواد الأوائل من ذوي المقاعد الوثيرة. لقد وقف وراء تجارب العمل الحقلية الإثنوغرافية نوعان من الدوافع، كان النوع الأول يمتاز بالرغبة في الوقوف على الأفكار الفلسفية للمجتمعات والثقافات المحلية والبعيدة، حيث توجه لدراساتها أنثروبولوجيًا آنذاك مارسيل غرويل وموريس لينهاردت حيث عدّ هذان الأنثروبولوجيان نموذجًا لهذا الاتجاه. أما النموذج الثاني فقد جسّده لويس دومون، إذ كانت تقف وراء دوافعه الرغبة في الحصول على معلومات إثنوغرافية تمكنه من الإجابة عن تلك التساؤلات الأساسية في العلوم الإنسانية.

من يقارن تجربة المدرسة الأنثروبولوجية الفرنسية بتجارب المدارس الأخرى في العالم الأنجلو ساكسوني، سيلاحظ أن المدرستين الأنثروبولوجيتين، البريطانية من جهة والأمريكية من جهة أخرى، قد نشأتا وترعرعتا في أحضان معاهد الأنثروبولوجيا التابعة لجامعاتها الكبيرة والعريقة، مثل أكسفورد ولندن وكمبردج وإدنبرة ومانشستر في بريطانيا؛ وشيكاغو وبيركلي وهارفارد وبييل وكولومبيا في أمريكا. وقد اعتمدت المعاهد في تلك الجامعات على تعاقب شخصيات أنثروبولوجية شكلت نظرياتها وتجاربها معالم مدارسها الأنثروبولوجية المتفرقة بعد ذلك. أي بمعنى آخر إنّ التجربة الأنجلو ساكسونية امتازت بتماه كبير جدًا بين شخصياتها الأنثروبولوجية، أي أقطابها الكبيرة، والمؤسسات الأكاديمية التي عملت بها وانتمت إليها. ولذلك شكلت تلك المؤسسات بعراقتها وسلطتها العلمية والفكرية

جهود جديدة في تبني مشروعات فلسفية قائمة على دمج المعلومات الواردة إلى فرنسا من أنحاء العالم، فقد دشن عدد من الفلاسفة ممن عرفوا بـ «الأيدولوجيين» جمعية في عام 1799م، أطلقوا عليها مسمى «جمعية ملاحظة الإنسان». وقد أصدرت هذه الجمعية دليلاً علمياً لملاحظة ودراسة الشعوب البدائية، حثت من خلاله الدارسين على العيش مع الشعوب الراغبين في دراستها بل والعمل على إتقان لغاتها. كما شهدت تلك العقود انطلاق «الأكاديمية السلتية» عام 1807م، حيث عُنيت هذه الجمعية بجمع المعلومات الخاصة بالممارسات والمعتقدات الفولكلورية، وذلك باعتبارها من بقايا العصور الوثنية. أما في عام 1839م، فقد قامت «الجمعية الإثنولوجية في باريس» بإصدار دليل علمي لجمع النماذج والمعلومات الإثنوغرافية.

ماذا كان مصير المشروعات الفلسفية، وإلى أين انتهت من حيث تأثيرها على مسيرة الأنثروبولوجيا الفرنسية؟ لقد شهد منتصف القرن التاسع عشر ما يمكن أن نطلق عليه عملية كبرى لدمج تلك المشروعات مع المشاريع الاستعمارية لفرنسا، إذ أصبحت الإدارة الكولونيالية الجديدة في حاجة لمعلومات دقيقة يمكن من خلالها لإداريي الإمبراطورية الاستفادة منها ومن ثم توظيفها في إدارة شؤون المستعمرات، وليس أدل على هذا التغيير في طبيعة المشروعات الاندماجية من التحول في استخدام تعبير «الإثنولوجيا» إلى تعبير آخر الا وهو «الأنثروبولوجيا العامة»، حيث كان الأول معنياً بدراسة لغات معينة وثقافات محددة بهدف الوصول إلى فهم أفضل للطبيعة البشرية، أما المفهوم الثاني الذي أصبح معنياً به: فهو ذلك

في أوروبا وأفريقيا وأمريكا الوسطى والجنوبية وكندا، أي المحيط الضارنكوفوني، مركزاً لجذب واستقطاب تلك الشخصيات الأنثروبولوجية، حيث نقلت معها إلى تلك الاماكن أفكارها ونظرياتها.

وبهدف وضع المنظورين السابقين اللذين تناولنا من خلالهما ما كنا نراه من جوانب مهمة من شخصية المدرسة الفرنسية، أي تجاذبات الأنثروبولوجيا/النظري والإثنوغرافيا/العملي، في سياقهما التاريخي المناسب، فإن الأمر يتطلب منا الكشف عن محطات مهمة في مسيرة هذه المدرسة، ذلك أنه من خلال استعراضنا لتلك المحطات قد نتمكن من إمارة اللثام عن تأثير تلك التجاذبات على تشكل شخصية هذه المدرسة.

بعض الجذور التاريخية :

تتشارك الأنثروبولوجيا الفرنسية ونظيراتها الغربية خاصة، من حيث التأثير الذي تركته حركة التبشير والكشوفات الجغرافية والاستعمار على الاهتمامات الأنثروبولوجية المبكرة منذ القرن الثامن عشر،⁽¹⁷⁾ فقد كان لهذه المصادر الدور والأهمية الكبيرة في انطلاق الأنثروبولوجيا الفرنسية لدراسة المجتمعات والثقافات غير الأوروبية. كما شكلت المعارف التي أتت بها الكشوفات الجغرافية وحركات التبشير والاستعمار الدور البالغ الأهمية في تشييد المعاهد والمراكز الدراسية والمتاحف المعنية بالثقافات غير الأوروبية، ففي ظلها نشأ وترعرع جيل الرواد الأوائل خلال القرن التاسع عشر. ومثلما شهد هذا القرن ولادة المؤسسات المعنية بالدراسات الأنثروبولوجية، كذلك شهد النصف الأول منه قيام

بمناوبة السنوات الذهبية في حياة المدرسة الفرنسية، حيث شهدت تلك السنوات رواجاً للمدرسة وإسهامات أعضائها المرتكزة على النظرية الكبرى وعلى المنهج الوصفي الدقيق. فقد شهدت تلك السنوات بروز عدد من الأنثروبولوجيين الذين استطاعوا الجمع بين النظرية والمنهج الوصفي، حيث أخذت أعمالهم تُظهر حرفة أصحابها وإتقانهم لصناعة الإثنوغرافيا، وهكذا أصبحت هذه الأسماء من الشخصيات اللامعة في الدراسة والبحث الأنثروبولوجي، فقد كرس هؤلاء الباحثون سنوات طويلة من حياتهم الأكاديمية في دراسة جماعات بشرية محددة من الناحية الاجتماعية والفكرية، وقد شكلت اللغة والرمزية أحد أبرز تلك الجوانب التي اعتنوا بها. ويعتبر موريس لينهاردت وتجربته في التحول من العمل التبشيري إلى الإثنوغرافيا في كالدونيا الجديدة القائمة على دراسة المفهوم المحلي لـ «الفرد» لدى أهالي «دوكامو» بمثابة عمل أنثروبولوجي نموذجي للدراسة المقارنة⁽¹⁹⁾

ومن العلامات البارزة كذلك لتاريخ الأنثروبولوجيا الفرنسية خلال سنوات ما بين الحربين العالميتين، هو التماهي الكبير الذي أخذ مجراه بين الأنثروبولوجيا والأدب والتأثير المتبادل بين كلا المجالين، وليس أدل على ذلك من الوقوف على تأثيرات الفنان «بابلو بيكاسو» والشاعر «بول إليوار» على معظم الأنثروبولوجيين الفرنسيين آنذاك، والعكس كان صحيحاً أيضاً إذ تركت شخصيات أنثروبولوجية بارزة أثرها الكبير في تلك الحركة، مثل: كلود ليفي ستروس، وميشيل ليريس، ومارسيل غرويل.⁽²⁰⁾ ومن علامات ذلك التماهي

العلم الكلي الطابع الذي يشتمل على الأنثروبولوجيا الفيزيائية والجغرافيا البشرية، جنباً إلى جنب مع الدراسات المعنية باللغة والثقافة. وهكذا تم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تأسيس كُرسى «أستاذية للأنثروبولوجيا في متحف التاريخ الطبيعي بـ «المعهد الفرنسي للأنثروبولوجيا في باريس» وكذلك المتحف الإثنوغرافيا، الذي سيصبح بعد ذلك كما هو متعارف عليه في باريس «متحف الإنسان».

أعوام ما بين الحربين:

شهدت الأنثروبولوجيا الفرنسية تطوراً هاماً في السنوات الواقعة بين الحربين العالميتين، وكان له الأثر الأبرز في إنقاذ إسهامات المدرسة الدوركايمية التي تأثرت كثيراً بسبب الحرب العالمية الأولى. ولعل أبرز ما يميز ذلك التطور، هو تصاعد وتيرة مأسسة الإثنولوجيا الفرنسية، فقد شهد عام 1925م على سبيل المثال تأسيس «المعهد الإثنولوجي» على يد سوسيولوجي بارز آنذاك مثل «مارسيل موس» وفيلسوف مثل «لوسيان ليفي برول»، و«بول ريفيير» بصفته إثنوغرافياً وأنثروبولوجياً فيزيقياً. ولعل من أبرز ما يميز تجربة المعهد هو تجاوز قطبين رئيسيين، تجسد الأول في الدور الذي أداه موس من خلال ما أولى «النظريات الكبرى» من أهمية، ذلك باعتبارها المحرك الأساس للإثنولوجيا ومشروعاتها البحثية. أما القطب الثاني، فقد مثله بول ريفيير ورؤيته للأنثروبولوجيا باعتبارها محور ارتكاز بين العلوم الوصفية الدقيقة من جهة، والعلوم الاجتماعية والطبيعية من جهة أخرى.⁽¹⁸⁾

كما تعتبر الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين

الأخص لجهة انشغالها بجماعة بشرية واحدة، تمثلت في قبائل الدوغون في مالي، ولاتصاف عملها بالمدى الزمني الطويل، حيث أمضى أعضاء البعثة سنوات طويلة من حياتهم في إجراء دراسات حقلية إثنوغرافية شملت جوانب متفرقة من ثقافة ومجتمع الدوغون، خاصة نسقها الكوسمولوجي.

الأفق السوسولوجي؛

استطاعت الأنثروبولوجيا الفرنسية أن تحقق تقدماً لافتاً للأنظار، خاصة على الصعيد الفكري والنظري، وكان يقف وراء جذور هذا التقدم نخبة من المفكرين الاجتماعيين الذين تصادف وجودهم في باريس منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كما امتازت هذه النخبة بتعدد علاقاتها وتجاربها في ميادين متفرقة من العلوم الاجتماعية والإنسانية. استطاع أبرز رموز تلك النخبة، أي دوركايم على سبيل المثال، أن يحقق بصفته عالم اجتماع تقدماً مع بداية القرن العشرين وذلك على صعيد تأسيس علم الاجتماع المقارن، وهو ما اعتبر أحد الأركان التي شيدت عليها الأنثروبولوجيا الفرنسية تجربتها بعد ذلك.⁽²³⁾ فوفق هذا المنظور الجديد، اعتبر دوركايم الحياة الاجتماعية على أنها مستوى مستقل من التحليل، مبني بشكل مركزي على قاعدة التمثيلات الجماعية. وقد استطاعت المدرسة الدوركايمية، بعد ذلك، أن تنشر في دوريتها «حولية علم الاجتماع» مجموعة من الدراسات السوسولوجية المبنية على التحليل المقارن للعديد من النظم والأنساق الدينية والاجتماعية والرمزية، وقد تمكنت تلك الدراسات التي سيكتب لها بعد ذلك دور في مسيرة

الشديد أيضاً، بروز مجلات ودوريات مشتركة أصبح نفوذها يتعاظم في كلا الاتجاهين، نذكر على سبيل المثال المجلة التي أصدرها مارسيل غرويل المعروفة بـ «مينوتور *Minotaure*»، والدور الذي لعبته «الكوليدج دو سوسولوجيا» في ربط العلوم الاجتماعية، ومن بينها الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا بطبيعة الحال، بالأدب الطبيعي آنذاك.⁽²¹⁾

على أن التأثير الأبرز والأكثر أهمية في تكوين المدرسة الفرنسية كان مصدره التجربة الإثنوغرافية، خاصة تجربة «بعثة دكار-جيبوتي»، حيث كان لهذه البعثة وأعضاء الفريق المشارك فيها دور كبير في تأصيل العمل الحقلية الإثنوغرافية. وعلى الرغم من أن هذه البعثة قد بدأت أعمالها عام 1931م، إلا أن نشاطها الأنثروبولوجي تواصل إلى ما يقارب العقد من الزمان. وكان ما يميز تجربتها هو انتماء أعضائها إلى التيار الفلسفي والحركة الفنية والفكرية والأدبية التي كانت سائدة في فرنسا آنذاك، خاصة الحركة السورالية. كان على رأس البعثة مارسيل غرويل، الذي عُرف عنه اهتمامه بالطقوس والفلسفة لدى قبائل الدوغون بغرب أفريقيا، وميشيل ليريس الذي كان يُعدّ شاعراً معروفاً وإثنوغرافياً لامعاً وناقداً بارزاً للكولونيلية الفرنسية، وهو أيضاً أحد أقطاب الحركة السورالية.⁽²²⁾ كما كان هناك السينمائي المعروف «جان روش»، وأنثروبولوجيون آخرون، مثل: «جرمان ديتزلين» و«غوردن» و«سولانج دوغاني» و«دينيس بالم» و«دومنيك زاهن» و«جان بول لبوف» و«ديبورا لينشز» و«أندريه شافتر». وقد تركت هذه البعثة بصماتها الواضحة على مسار الأنثروبولوجيا الفرنسية في عقودها التالية، وعلى

الفرنسية حالياً بمثابة طفل لأبوين بينهما خصومة شديدة بل وتباين اجتماعي: وهما تحديداً الإثنولوجيا والفولكلور. وقد أصبح من المؤلف أن تعرف الإثنولوجيا الفرنسية من الناحية التقليدية في القرن العشرين على أنها امتداد جنيولوجي لكل من دوركايم وموس وليفي ستروس، وأنها على الرغم من جذورها المتحفية إلا أنها قد انتقلت لتصبح منذ منتصف ذلك القرن مشروعاً بحثياً. أما الفولكلور، فقد ظل طيلة ذلك القرن علماً مرتبطاً بالمتاحف، وبأنه يعود جنيولوجياً لأسماء معروفة مثل: «أرنولد فيان جنب»، و«إندريه فاراغناك»، و«جورج هنري ريفيير»⁽²⁶⁾. وكانت قاعدة هذا التمييز الذي تبنته الإثنولوجيا مقارنة بنظيرها الفولكلور بين المجتمعات البشرية، خاصة من حيث طبيعتها، كان مبنياً على التفريق بين مجتمعات أمية وغير متعلمة، بمعنى إنها بدائية وبسيطة وباردة، وإما أنها متعلمة، وعليه فهي حديثة مُعقدة وحرارة. وكان المشروع الدوركايمي قد أقام منظوره من خلال النظر إلى الإثنولوجيا/الأنثروبولوجيا باعتبارهما العلم المعني بتقديم إسهامه للعلم الواسع والكوني الطابع والمعني بدراسة المجتمع البشري وذلك من خلال دراسة النمط الأول من المجتمعات، بهدف تقديم فهم للبنى الأساسية للحياة الاجتماعية. أما الفولكلور، حسب الدوركايمية، فكان يُنظر إليه باعتباره العلم المعني بدراسة ممارسات ومعتقدات العامة من الناس في المجتمعات المتعلمة، خاصة في المناطق غير الحضرية من أوروبا، أو بمعنى آخر هي معنية بتلك العناصر الثقافية التي يعتقد أنها من بقايا المجتمع الأوروبي غير الصناعي. لم تكثف الدوركايمية بهذا التمييز

الأنثروبولوجيا الفرنسية، أن تتحول الى أعمال بارزة وقفت وراءها أسماء لامعة في حقول مهمة: مثل لوسيان ليفي برول في الفلسفة، حيث عمل على توظيف معارفه الفلسفية والسوسيولوجية المستمدة من النظر بشكل مقارن إلى الذهنيات البدائية، خاصة من حيث فروقها الاجتماعية ومقدراتها الذاتية. وعلى الرغم من تلك النجاحات التي حققتها الدوركايمية، إلا أن هذه المدرسة قد تعرضت على صعيد أفرادها، سواء دوركايم أو أتباعه، إلى ضربة كادت أن تكون قاضية، وذلك عندما فقدت المدرسة عدداً من أعضائها بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى، حيث قضى العديد منهم نحباً في جبهات القتال، وكان من الناجين مارسيل موس، حيث سيلعب هذا الأخير، سواء من خلال أعماله أو دوره في مجلة «حولية علم الاجتماع»، دوراً في تطوير مفاهيم في غاية الأهمية، مثل «التبادل» و«الكل الاجتماعي». كما استطاع أن يخلق رواجاً لعلم الاجتماع جنباً إلى جنب مع الإثنولوجيا؛ كما استطاع عبر أبرز أعماله مثل «موجز لنظرية عامة في السحر» و«الهدية»، أن يلفت الأنظار إلى أهمية الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا لاحقاً، مثلما ساهمت مقالات أخرى له، مثل «تقنيات الجسد»⁽²⁴⁾ في الوقوف على النظم والأنساق الاجتماعية والذهنية وعلاقتها بالبنى الاجتماعية، ولعل بعض الكتابات المهمة التي أخذت في الصدور آنذاك، مثل «طقوس العبور» لـ «فيان جنب»، تعتبر من أبرز الأمثلة على ذلك.⁽²⁵⁾

النزاع مع الدراسات الفولكلورية :

من الناحية الواقعية، تعتبر الأنثروبولوجيا

في السبعينيات تلجأ إلى استخدام النظريات الأنثروبولوجية التقليدية المتعارف عليها في دراسة ومعالجة موضوعات في تلك المجتمعات المحلية، مثل: القرابة والملكية الخاصة والجماعية والطقوس والسحر والرؤية المحلية للزمان والمكان والتضامن الاجتماعي. وبخلاف المدارس الأنجلوساكسونية، كان معظم الأنثروبولوجيين الفرنسيين المنشغلين بدراسة تلك الموضوعات ينتمون إلى مراكز أبحاث وليس إلى أقسام أنثروبولوجية بجامعة أو أكاديمية معروفة، أي إن معظم أولئك الأنثروبولوجيون ينتمون إلى مراكز دراسات، مثل: «مركز الإثنولوجيا الفرنسية» التابع لـ «المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية»، و«مختبر الأنثروبولوجيا الاجتماعية» في «الكولج دو فرانس». وكان هؤلاء الأنثروبولوجيون يسعون بأبحاثهم ودراساتهم لإثبات جدوى العمل الأنثروبولوجي في المجتمع والثقافة الفرنسية، خاصة وأن كبار الأنثروبولوجيين الفرنسيين وأكثرهم مكانة وشهرة قد شيّدوا صيتهم الأكاديمي ومكانتهم من خلال العمل الإثنوغرافي في مجتمعات غير أوروبية امتازت ببعدها الجغرافي وبيدائيتها، لذا فإن بروز هذا الفريق من الأنثروبولوجيين، من الجيل الثاني، في سبعينيات القرن الماضي يعد تحولاً مهماً في تاريخ الأنثروبولوجيا الفرنسية.

هجر الفولكلور والتاريخ:

أما التطور الآخر في مسيرة الأنثروبولوجيا الفرنسية، فهو ما آل إليه مصير الفولكلور. فمع نهاية عقد الثمانينيات من القرن الماضي أصبح هذا العلم بمثابة القضية الميتة، وهكذا أصبحنا نشهد توجه

الذي أقامته بين الإثنولوجيا والفولكلور، بل نظرت إلى الأول باعتباره علماً يمتاز بالصرامة العلمية، أما الثاني فقد نظرت إليه باعتباره عديم الأهمية ذلك أنه معني فقط بالثقافات والتقاليد القديمة المنثورة!! ويعتبر هذا الموقف الدوركايمي هو الأبرز، بل هو المسؤول بصورة مباشرة عن عدم احتلال الفولكلور مكانة تليق به كعلم بين العلوم الاجتماعية في فرنسا، وعليه ظل يعاني من التهميش ومن النظرة الأكاديمية السلبية له، وذلك ما أدى إلى تدني مكانته العلمية في فرنسا مقارنة بدول أوروبية أخرى.⁽²⁷⁾

وعلى الرغم من ذلك الموقف الدوركايمي المتشدد، فقد آلت التطورات بالانثروبولوجيا الفرنسية المعنية بدراسة المجتمع الفرنسي خلال سبعينيات القرن الماضي إلى أن تتسم شخصياتها بدرجة كبيرة من المراوحة بين كلا التقليدين: الفولكلور من جهة والإثنولوجيا من جهة أخرى. فقد انشغلت الدراسات الفولكلورية بمحاولة إعادة رسم صورة عن أنماط الحياة التقليدية والقديمة في المجتمعات المحلية غير الحضرية. وهكذا شملت تلك الدراسات موضوعات مثل: المعتقدات، والطقوس، والتاريخ الشفاهي، والتكنولوجيا المحلية المنتشرة في المجتمعات الفلاحية الفرنسية. وقد سارت تلك الدراسات الفولكلورية جنباً إلى جنب مع الإثنولوجيا بل ومتسقة معها، وقد وظفت الأخيرة علومها ومعارفها في دراسة تلك المجتمعات البعيدة زمانياً ومكانياً، أي المجتمعات المحلية الفرنسية القديمة وليس البدائية، ومجتمعات الأقاليم وليس الإيغزوتية؛ أي بصورة عامة المجتمعات المحلية التقليدية ضمن النطاق الفرنسي. وهكذا وجدنا الأنثروبولوجيا الفرنسية

المشروعات البحثية نحو دراسة الحاضر، وأصبح هناك شبه طلاق مع الماضي والريف الفرنسي. وتحت وقع موجة من النقاشات التي طالت الأنثروبولوجيا، أي من حيث طبيعتها وهويتها كعلم، وكذلك جديتها في مجال مواصلة تحقيق مشروعاتها البحثية، اتجهت الأنثروبولوجيا نحو الابتعاد أكثر فأكثر عن التاريخ، وهكذا أصبحت أكثر ميلاً إلى علم الاجتماع من حيث مقارباتها وأطروحاتها حول المجتمع والثقافة الفرنسية وأكثر ابتعاداً عن الدراسات التاريخية. وكان هذا الانفصال عن التاريخ يُعدُّ من أكثر القضايا إيلاًماً في تاريخ الأنثروبولوجيا الفرنسية، ذلك أنه وعلى مدى عقود من الزمن وجدت الإثنولوجيا في الدراسات التاريخية للمجتمع الفرنسي حليفاً استراتيجياً، حيث كان يجمع بينهما دراسة المجتمع الفرنسي، من جهة، والتاريخ من جهة أخرى. وكان لمدرسة «الحواليات» دور كبير في رعاية ودعم تلك العلاقة، خاصة في ظل الاهتمامات العميقة التي أبدتها تلك المدرسة بتاريخ المجتمعات المحلية وكذلك توظيفها للتحليل الأنثروبولوجي لأنماط الحياة اليومية في الدراسة التاريخية لتلك المجتمعات، سواء من حيث تنوعها أو انتمائها بصفة عامة للفترة الزمنية الواقعة قبل الثورة الفرنسية.⁽²⁸⁾

وهكذا نشأ تماثل شديد بين الاهتمامات الأنثروبولوجية والتاريخية مما أدى إلى قيام تعاون عميق بين الأنثروبولوجيا ومدرسة «الحواليات»، خاصة من حيث الاهتمامات المشتركة بالمجتمعات الفلاحية الفرنسية من الناحية التاريخية، وقد عدُّ ذلك ميداناً حيويًا تم عبره اختبار رؤى وتحليلات تاريخية وأنثروبولوجية مبنية على العديد من

المفاهيم والنظريات الاجتماعية.⁽²⁹⁾ وقد لعب ذلك التعاون دوراً كبيراً في تشكُّل الملامح العامة للأنثروبولوجيا الفرنسية، أي من حيث مفاهيمها ونظرياتها، وذلك بصورة منفصلة بل ومتميزة عن علم الاجتماع عند دراسة المجتمع الفرنسي. فقد كانت أبحاث السوسيولوجيين الفرنسيين منكبة خلال السبعينيات على دراسة التحولات السريعة التي كان يمر بها الريف الفرنسي منذ الحرب العالمية الثانية، وهو ما كان يُعدُّ مغايراً للاهتمامات الإثنولوجية الفرنسية التي كانت تجد نفسها معنية أكثر بدراسة ذات المجتمعات الريفية، ولكن في فترات زمنية أبعد وعبر دراسة تحولات أعمق وأقل سرعة من تلك التي بدأت منذ الحرب العالمية الثانية، وهي مجتمعات لها برأيهم خصوصية وتمايز عن بقية المجتمعات المحلية في فرنسا عموماً. وهكذا أصبحنا نجد أن الإثنولوجيا الفرنسية قد تركت للسوسيولوجيين هناك مجال البحث والدراسة في قضايا الحداثة والتحولات التي كانت تأخذ مجراها على نطاق واسع على المستوى المحلي أو العام في فرنسا، بينما اتجهت هي لدراسة البنى العميقة للمجتمعات الريفية، وخاصة خلال الفترات الزمنية التي كانت تمتاز بالاستقرار النسبي وبمدي ونطاق أضيق كذلك.⁽³⁰⁾

ومن بين المشكلات التي برزت على السطح باعتبارها من التحديات المنهجية أمام الأنثروبولوجيا الفرنسية، كانت إشكالية «الشمولية» في تناول الحقائق الاجتماعية القادرة على تفسير المجتمع بمجمله، فقد تم اقتراح مشروعات لإجراء تحليلات إثنولوجية للمجتمع الفرنسي بصورة شاملة، كان يُدرس على سبيل المثال من خلال تراثه الوطني،

البعض الآخر إلى أمريكا. وكان من أبرز المتواجدين آنذاك في مدينة نيويورك مع زملائه الألمان، كلود ليفي ستروس و«رومان جاكسون». وقد أثمرت سنوات المنفى تلك عن تمكن ليفي ستروس من دراسته للأنثروبولوجيا على يد عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي «فرانز بوان» في جامعة كولومبيا، والعمل سوياً مع عالم اللسانيات جاكسون، حيث نتج عن عملهما المشترك ما عُرف بعد ذلك بالنظرية البنوية، إذ استطاع ليفي ستروس تكوين منظور أنثروبولوجي للمجتمع والثقافة قوامه المبادئ التي يعمل وفقها العقل البشري على مستوى اللغة، أي وفق مبدأ التضاد الثنائي المستمد من رؤية «دي سوسور» للغة الذي استعان به «جاكسون»، حيث قام «ليفي ستروس» بالاستفادة منه في الوقوف على العقل البشري. أما الجوانب الأخرى من الثقافة والمجتمع، فبالإمكان استكمال النظر إليها حسب منظور «التبادل» الذي طوره مارسيل موس. واستطاع ليفي ستروس عند عودته إلى فرنسا من نيويورك في الخمسينيات من أن يطور نظريته البنوية مستفيداً من جهة أولى من التحليل النفسي المبني على مبادئ الشعور واللاشعور لدى «سيغموند فرويد»، والذي قام بتطويره عالم النفس الفرنسي «جاك لاكان»، ومن جهة ثانية من دراسات «رولاند بارت» في التحليل والنقد الأدبي.

استطاعت تلك التطورات التي شهدتها الأنثروبولوجيا الفرنسية، بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، أن تلفت أنظار بعض الأنثروبولوجيين الفرنسيين إلى دراسة مجتمعات وثقافات جديدة، خاصة تلك التي تقع في آسيا وأمريكا

إلا أن الممارسة الأنثروبولوجية على أرض الواقع تكشف لنا أن معظم الدراسات ظلت منحصرة في إطار دراسة مناطق ومجتمعات جزئية صغيرة ضمن المجتمع الفرنسي، ومع ذلك فإن أغلبية تلك الدراسات استطاعت أن تميّط اللثام عن التعابير والتشكيلات الخاصة بالتمايزات الاجتماعية والهوية المشتركة باعتبارها حقائق اجتماعية مهمة عن المجتمع الفرنسي المعاصر.⁽³¹⁾ وهكذا أصبح من العسير إذاً الحديث عن وجود دراسات أنثروبولوجية تناولت المجتمع الفرنسي بصفة شاملة أو كلية. فالقاسم المشترك الذي ظل سائداً بين تلك الدراسات هو اعتقادها بوجود مجتمعات غير قابلة للدراسة الأنثروبولوجية الشاملة الطابع، بل إن هناك مجتمعات قد تكون بعض جزئياتها قابلة لهذا النوع من الدراسة، وإن مجرد وجود مثل هذه المشروعات ما هو إلا تعبير عن أوهاام يصعب تحقيقها أنثروبولوجياً على أرض الواقع.

المنظور البنوي:

ترك صعود النازية في أوروبا أثراً كبيراً في نشاط العلوم الاجتماعية والإنسانية، وكان من نتائجه في ألمانيا وحدها على سبيل المثال هجرة معظم أعضاء مدرسة فرانكفورت إلى أمريكا وانخراط البعض الآخر في النضال السياسي ضد النازية، وقادت ظروفها الصعبة كذلك إلى انتحار بعض أعضائها مثل «فالتر بنجامين». ومثلما غادر أعضاء مدرسة فرانكفورت إلى أمريكا، كذلك فعل الفرنسيون، وهكذا بينما فضل بعضهم النضال في صفوف حركة المقاومة الشعبية ضد الحكم الفاشي في فرنسا، غادر

اطلاع ليفي ستروس على أعمال موس إلا بعد نزوحه إلى نيويورك خلال الحرب العالمية الثانية، إلا أنه استفاد من نموذجه التحليلي حول «التبادل» في تطوير ما كان يعتقد أنه منهج أكثر من كونه نظرية في الأنثروبولوجيا البنيوية. كانت بنيوية دومون من جهة أخرى تبدو ممكنة أكثر، وقد كان لأفكار ونظريات موس وليفي ستروس دور في الطريقة التي أخذ دومون يتعامل بها مع البنيوية باعتبارها منهجاً مكنه من التعامل مع إثنوغرافياته عن جنوب الهند وعن نظام الكاست في الهند بصفة عامة. وهو في هذا الشأن لم يشذ عن ليفي ستروس، أي من حيث تأثيره بمفهوم التضاد الثنائي الذي تحدث عن أهميته العلمية روبرت هيرتز، إلا أن فضل دومون هنا يتمثل في أنه قام بتطويع هذا المفهوم بصورة جوهرية لمصلحة المفهوم الأوسع الا وهو «البنيوية»، ولكنه قام بذلك بصورة مغايرة.

ومع دخولها إلى النصف الثاني من القرن العشرين، أصبح للأنثروبولوجيا الفرنسية، التي أخذت تهيمن عليها المدرسة البنيوية، شخصيتها المتميزة بل وأجندتها البحثية الخاصة التي غدت تميزها عن بقية المدارس الأنجلوساكسونية. وهكذا أصبحنا نجد أن موضوعاً كبيراً مثل «القرابة»، حيث شغل حيزاً كبيراً من تفكير العديد من المدارس الأنثروبولوجية، أصبحت المدرسة الفرنسية تنظر إليه وفق مبدأ «التبادل»، وعليه أصبح مفهوم «المصاهرة» على سبيل المثال يشكل القاعدة التي تركز عليها القرابة وليس «النسب» كما كانت تريد له المدارس الأنجلوساكسونية؛ تماماً مثلما أخذت الأنثروبولوجيا الفرنسية تنظر للطقوس والأساطير

اللاتينية وأفريقيا، كما تم طرق ميادين جديدة، مثل: البيئة، والأنثروبولوجيا اللغوية، ودراسات ما قبل التاريخ، والتغير الاجتماعي، والكولونيالية. وقد برعت في هذه الميادين أسماء جديدة استطاع أصحابها توظيف تلك التطورات في دراسة التحولات التي كانت تمر بها المجتمعات التقليدية من جراء تعرضها لمظاهر الاستعمار على سبيل المثال. وكان من أبرزهم في هذا المجال «جورج بالاندييه»، الذي استطاع أن يطور منظوراً متقدماً في مجال الأنثروبولوجيا السياسية، وذلك بهدف الوقوف على التحولات التي كانت تمر بها بعض المجتمعات الإفريقية. وهكذا مع انبلاج عقد الستينيات من القرن العشرين، استطاعت الأنثروبولوجيا الفرنسية أن ترسخ لنفسها موقفاً متقدماً في الساحة الفكرية والفلسفية في فرنسا، وكان للعلاقات المتشابهة بين حقول الأنثروبولوجيا، وكذلك للتقاطعات الفكرية التي أقامتها مع بقية ميادين العلوم الاجتماعية والإنسانية الدور الكبير في المكانة التي أخذت الأنثروبولوجيا تحتها في الحياة الفرنسية العامة. وهكذا أخذت البنيوية كمنظرة ومدرسة فكرية، يتصدرها ليفي ستروس، تؤدي دوراً طليعياً؛ مما كان له الأثر الكبير في التحاق أسماء أخرى بارزة بها، مثل: الفيلسوف «ميشيل فوكو»، وعالم النفس «جاك لاكان»، والناقد الأدبي «رولاند بارت».

الأمر الذي يصعب تجاهله في هذا السياق، هو كون ليفي ستروس ولويس دومون من أكثر أتباع مارسيل موس تأثير ونفوذ في المدرسة الفرنسية، حيث كان لأعمال الأخير تأثير بالغ في تجاربهم ونظرياتهم الأنثروبولوجية. فعلى الرغم من عدم

للمجتمعات والثقافات من جهة أخرى. وهكذا طور غودلييه مفهوم «نمط الإنتاج» و«التشكيلات الاجتماعية»، مبرزاً ما للفرد والبنى المستترة من دور حيوي في هذه الأنماط الإنتاجية وتلك التشكيلات الاجتماعية.

إلا أنه ومع مرور الوقت نتج عن تصدي تلك الشخصيات الأنثروبولوجية البارزة في هذا الميدان، مثل موريس غودلييه، أن استطاعت تقديم نقد مهم للماركسية من جهة وللبنوية من جهة أخرى، وانتقلت بالتحليل الأنثروبولوجي للمجتمعات التقليدية إلى آفاق رحبة وغير تقليدية. فقد أولت تلك الشخصيات على سبيل المثال مفهوم «نمط الإنتاج» دوراً في منظورها التحليلي، بل عملت على تأكيد الأخذ بعين الاعتبار لإمكانية وجود أكثر من نمط للإنتاج في بعض البيئات والمجتمعات؛ وعلى دور العلاقات المركبة ذات الجذور المادية والروحية معاً في التأثير في مسار أنماط الإنتاج في تلك البنى الاجتماعية.

ولكن على الرغم من ذلك، فقد تعرضت البنوية، شأنها في ذلك شأن بقية المدارس الفكرية والاتجاهات النظرية، إلى العديد من الانتقادات، لعل أبرزها تلك التي استهدفت إهمالها لعوامل القوى الذاتية ولدور السياق التاريخي في تشكل البنى والذهنيات العامة. وقد عكست تلك الانتقادات موجة الإحباطات التي رافقت الثورة الطلابية في فرنسا في مايو 1968م، وكذلك النظرة السوداوية التي سادت الاتجاهات الفلسفية. كما تعرضت البنوية إلى انتقادات الماركسية وأفكارها التي صادفت رواجاً خلال تلك العقود، على أن الأنثروبولوجيا الفرنسية

باعتبارها أنماطاً لغوية وإدراكية، وليست تعبيراً عن أوضاع أو بنى اجتماعية أو دوافع سيكولوجية.

لقد تشابكت البنوية كذلك مع الماركسية، وقد نتج عن ذلك التشابك أن أصبحت الأنثروبولوجيا الفرنسية تنظر إلى الاقتصاد باعتباره جزءاً من نسق أشمل، وهوليس الوحيد أو القوة الوحيدة المسؤولة عن تحريك وتغيير المناحي الأخرى في الحياة كالسياسة والأخلاق والقيم والمعتقدات وغيرها. وتعتبر الماركسية، باختلاف مدارسها، إحدى المصادر الفكرية التي لعبت دوراً في تأصيل دور النظرية في الدراسات الأنثروبولوجية والعمل الإثنوغرافي في صفوف المدرسة الفرنسية. وكان الفضل يعود في هذا الخصوص للنتائج التي ترتبت عن مشروعات النقد التي تعرضت لها الماركسية، خاصة تلك التي قام بها «لويس التوسير». لقد فتحت مشروعات التوسير النقدية للماركسية المجال لإعادة النظر في بعض من المفاهيم والقضايا التي تناولها «كارل ماركس» حول المجتمعات الأوروبية والأخرى غير الأوروبية مثل الآسيوية والأفريقية. لقد مهدت تلك المعالجات الطريق أمام جيل من الأنثروبولوجيين الفرنسيين للقيام بأعمال إثنوغرافية حقلية في مجتمعات غير أوروبية قائمة على أطروحات أنثروبولوجية عالجوا من خلالها موضوعات في السياسة والاقتصاد والقرباة والطقوس والمعتقدات؛ وكان من أبرز تلك الأسماء: «موريس غودلييه» و«مانويل تيري» و«كلود ميلسو» و«بيير فيليب ري». كانت إسهامات غودلييه تعتبر الأبرز في هذا الخصوص، حيث استطاع الممازجة بين الماركسية ورؤيتها التاريخية من جهة، والبنوية الساعية للخوض في البنى الخفية والمستترة

العام، ولم تحل مكانها أية بدائل أو أجندات فكرية أخرى بحجم تلك النظريات والمدارس. وعلى الرغم من مواصلة الباحثين والدارسين الفرنسيين نشاطهم الأنثروبولوجي بنفس الحيوية، إلا أنه منذ الثمانينيات من القرن الماضي لم تنتج تلك التجارب أية أسماء بارزة في صفوف الجيل الثاني لتؤدي أدواراً مشابهة لرواد الجيل الأول سواء على الصعيد الأنثروبولوجي أو على صعيد الحياة العامة.⁽³³⁾

لقد دون المساهمون في ذلك العدد من مجلة «الإنسان» شهاداتهم لواقع حال الأنثروبولوجيا في فرنسا وتصوراتهم لمستقبلها، فلاحظوا على سبيل المثال أن هناك تغييراً قد طرأ على طبيعة المجتمعات التي أخذ يتوجه إلى دراستها الأنثروبولوجيون الفرنسيون، ولعل السبب الأبرز برأيهم وراء ذلك التحول هو إما اختفاء أنماط الحياة التقليدية أو تعذر الوصول إلى تلك المجتمعات، وهو ما أدى برأيهم إلى إحداث تغيير في البحوث الأنثروبولوجية ومن ثم إلى اتساع نطاق الخارطة الإثنوغرافية لتشمل مناطق متفرقة من العالم، بما فيها المجتمعات التي تعتبر حديثة ومتطورة. أما الأمر الآخر، فهو تضعف نفوذ الأنثروبولوجيا في ضوء علاقاتها ببقية العلوم الإنسانية، وخاصة في مجال تقاسم المجتمعات سواء لجهة أنماطها أو أقاليمها وذلك بصفتها موضوعاً للبحث العلمي.

وأشار بعض الباحثين في ذلك العدد من «الإنسان» إلى اتفاقهم العام على الهدف الحتمي للأنثروبولوجيا المتمثل في محاولة فهم واستيعاب السمات الأساسية للمجتمع البشري من زاوية الاهتمام الأنثروبولوجي بتنوع المجتمعات البشرية، وبالرغم من ذلك ستظل

استطاعت أن تواصل مسيرتها بدراسة مجتمعات وثقافات الآخرين بشكل إثنوغرافي تفصيلي ويطار عام بنيوي الطابع على الصعيد النظري، دون أن تتأى بنفسها عن مشروعية هذا النوع من المعرفة وعن إمكانية الحصول عليها من عدمه.

حصاد ليفي ستروس ومُختبره:

مرت الأنثروبولوجيا الفرنسية بتطورات مهمة خلال العقود القليلة والأخيرة من القرن العشرين، ولعل الآراء والشهادات التي أبدتها من انخرط في صفوفها من الأنثروبولوجيين الفرنسيين تُعدّ على قدر كبير من الأهمية، فماذا قال أولئك الأنثروبولوجيون؟ لقد شهد عام 1968م صدور عدد خاص لمجلة «الإنسان»، المعروفة باعتبارها الأولى والأبرز في مجال الأنثروبولوجيا في فرنسا، تضمن العدد واقع الأنثروبولوجيا وتطورها هناك.⁽³²⁾ وكانت مناسبة إصداره هي الاحتفال بمرور خمسة وعشرين عاماً على إصدارها على يد ليفي ستروس، وكان ذلك في عام 1959م. وقد شهد ذلك العام كذلك مرور عامين على انتخاب ليفي ستروس لكرسي الأستاذية للأنثروبولوجيا الاجتماعية في «الكولوج دو فرانس»، وتأسيسه هناك لـ «مُختبر الأنثروبولوجيا الاجتماعية». هذا وعلى الرغم من التطورات التي شهدتها الأنثروبولوجيا الفرنسية على يد ليفي ستروس أو تجربة مختبره وطلابه الذين التحقوا به، فإن الثمانينيات ذاتها قد أخذت تشهد أيضاً أفول وانصراف أولئك الباحثين والطلاب عن النظريات والأفكار الكبرى. فقد شهدت البنيوية والماركسية، على سبيل المثال لا الحصر، انحساراً من المشهد

وكان من بين التطورات المهمة التي شهدتها كذلك عقدا الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي وكان لها تأثير كبير في مسار الأنثروبولوجيا الفرنسية، تأسيس قطاع كبير في وزارة الثقافة الفرنسية تحت مسمى «قطاع التراث الإثنولوجي» وذلك في عام 1980م. وقد وقفت شخصية أنثروبولوجية بارزة مثل «إسحاق شيفا» وراء هذا المشروع، بالإضافة إلى أنثروبولوجيين آخرين كانوا يتطلعون إلى إحداث نقلة نوعية في الدراسات الأنثروبولوجية المعنية بفرنسا كموضوع للدراسة والبحث.⁽³⁶⁾ وقد عمل هذا القطاع باستقلالية عن المؤسسات البحثية والمعاهد الأكاديمية المعنية بشؤون التدريس، وكان ذلك من خلال توفير المنح الدراسية لإجراء البحوث والدراسات الإثنولوجية المعنية بالمجتمع والثقافة الفرنسية. كما تولى هذا القطاع دعم مشاريع النشر للأبحاث والدراسات في هذا المجال، وقد تولت الهيئة المشرفة على هذا القطاع، والمكونة من أنثروبولوجيين وممثلين عن المركز الوطني للبحث العلمي، وشؤون الخدمات المتحفية، وشخصيات كبيرة من أجهزة الخدمة المدنية، وضع المجالات والموضوعات المقترحة للبحث والدراسة بصورة سنوية، وقد استطاع القطاع توفير ما يزيد عن الخمسمائة منحة خلال العشرين عاماً من عمره. كما دشّن القطاع مجلة أنثروبولوجية جديدة باسم «المجال/Terrain»، وقد شكلت هذه الدورية المرموقة مع أربع أخريات أهم وأبرز مجلات أنثروبولوجية تصدر في فرنسا، وأصبحت الأعداد نصف السنوية للمجلة تتمحور حول موضوع محدد، ومجموعة أخرى من المقالات تعالج موضوعات متفرقة ولكن ضمن إطار أعمال حقلية تنطلق

هناك مصادر صعبة، أساسية وعديدة، وجليّة للعيان. لقد دون هؤلاء الباحثون ملاحظات مهمة حاولوا من خلالها التدليل على أهمية تعدد الأطر التحليلية التي يقوم الأنثروبولوجيون بتوظيفها في أعمالهم، من جهة، وموضوعات المناطق الثقافية التي يتعاطون معها وذلك باعتبارها تعبيراً عن حيوية الأنثروبولوجيا وليس فنائها من جهة أخرى. لقد دلت آراء هؤلاء الباحثين على التأثيرات السلبية التي أخذت تتركها مشكلات، مثل الأطر النظرية القابلة للتطبيق وموضوعات البحث ووحدّة النطاق الجغرافي، على واقع الأنثروبولوجيا الفرنسية.⁽³⁴⁾

عكست كذلك المقالات المنشورة في ذلك العدد من «الإنسان» إشكالية أخرى أثّرت حول طبيعة المجتمعات التي على الأنثروبولوجيا/الإثنولوجيا أن تتوجه لدراستها، هل هي المجتمعات التقليدية، أم الحديثة، أم الاثنان معاً؟ وقد أجمعت الآراء، وكذلك الممارسات البحثية للأنثروبولوجيين الفرنسيين آنذاك ولاحقاً، على أنه لا بديل أمام الأنثروبولوجيا سوى مواصلة الاهتمام بدراسة المجتمعات البشرية على اختلاف تنوعاتها، بغية التوصل عبر المنهج المقارن إلى التعميمات النظرية اللازمة. فالزمان والمكان، على اختلاف تنوعهما، هما في غاية الأهمية لاستكمال المعرفة الأنثروبولوجية. لقد دفعت تلك الخلاصات محرر ذلك العدد من «الإنسان»، «باوليون» إلى الاتكاء على دوركايم وموس وليفي ستروس في القول بأن الأنثروبولوجيا هي بمثابة العلم المعنى بدراسة المجتمعات البشرية بصفة عامة، وما علم الاجتماع إلا فرع من ذلك العلم، وباعتباره معنياً بدراسة المجتمعات الحديثة فقط.⁽³⁵⁾

الخاتمة :

يتضح لنا بعد السرد التاريخي الذي أوردناه أنّ للشخصية الثقافية الفرنسية أثرًا في تشكّل معالم الأنثروبولوجيا الفرنسية، ذلك أن فرنسا تمتلك ثقافة فكرية عامة وفرت هامشًا كبيرًا للمتعلمين من العامة للانفعال بالقضايا الفكرية والفلسفية، وهي من المميزات التي جعلت التجربة الفرنسية تختلف عن مثيلتها في بريطانيا وأمريكا الشمالية. لذا فليس بمستغرب أن تحتل شخصية مثل ليفي ستروس تلك المكانة المهمة في الحياة الفكرية العامة، وذلك ليس بصفته أنثروبولوجيًا أو أكاديميًا مرموقًا، بل بصفته كاتبًا يمتلك نصوصًا نظرية تمتاز بالجمال والرقّة الأدبية والعمق الفلسفي. وهكذا أصبحت الأنثروبولوجيا الفرنسية، من خلال انشغالها بالحياة الثقافية والفكرية العامة، أكثر ارتباطًا بالعلوم الإنسانية الأخرى وبالفلسفة والأدب، إلى درجة أنه كان لكل التطورات الكبرى في المجالات الأنثروبولوجية الفرنسية انعكاساتها وتفاعلاتها خارج النطاق الضيق للعلم ذاته.

وكما حاولنا إظهاره، فإن الملمح الآخر للأنثروبولوجيا الفرنسية، هو ذلك الأمر الذي ميز مسيرة الكثير من روادها وأعلامها البارزين، حيث إن الكثير منهم قد وصلوا إلى عتبات الأنثروبولوجيا بعد أن قطعوا شوطًا كبيرًا في انشغالهم الفلسفية. وهكذا وجدنا أن الكثير منهم قد حمل تلك الانشغالات والقضايا الفلسفية والفكرية معه إلى حقل الأنثروبولوجيا ومناهجها المعروفة بالارتباط بالواقع المعيش. وكما لاحظنا في التاريخ الفكري والسيّري للشخصيات التي أتينا على ذكرها سابقًا، فإن هؤلاء

إثنوغرافيًا من منطقة محددة أو واحدة على الأقل. وعلى الرغم من تركيز هذه «المجال» على الدراسات المعنية بفرنسا، إلا أنها أخذت تنشر دراسات أخرى معنية بمجتمعات وثقافات بعيدة وإغزوتية. كما قام القطاع بنشر أعمال إثنوغرافية مهمة لعدد غير من قليل الأنثروبولوجيين الفرنسيين.⁽³⁷⁾

كما شهد هذان العقدان بروز مجالات للدراسة الأنثروبولوجية في فرنسا خارج نطاق الموضوعات التقليدية، مثل الريف الفرنسي والمجتمعات الفلاحية الفرنسية، وعلى الرغم من ذلك واصلت الكتابات الأنثروبولوجية الجديدة نشر أبحاثها التي امتازت بانعدام التمايز والفروقات التي كانت معروفة بين الكتابات السوسيولوجية والإثنولوجية، خاصة من حيث إطارها النظري وموضوع الدراسة.⁽³⁸⁾ فقد وظفت الدراسات، الإثنولوجية الطابع، مفاهيم سوسيولوجية استمدتها من بيير بورديو مثل «إعادة الإنتاج الاجتماعي»، كما اتجه السوسيولوجيون الفرنسيون في دراساتهم نحو التأثير بمدرسة شيكاغو السوسيولوجية الواقعة تحت تأثير نفوذ وهيمنة مناهج وطرق البحث الإثنوغرافية في أعمالها، خاصة لجهة تأثيرها بأعمال عالمي الاجتماع المعروفين «إرفنغ غوفمان» و«هارولد غافينكل»، حيث يشكل الفرد باعتباره فاعلاً اجتماعياً محورياً أساسياً فيها.⁽³⁹⁾ وكان مما يعزز تلك الدراسات المتقاطعة في طبيعتها ومناهجها الإثنولوجية والسوسيولوجية عدم إقرار الباحثين في كلا المجالين بوجود فروق جوهرية بين العلمين، بل إنهم كانوا أيضًا ينادون بإزالة التخوم بينهما.⁽⁴⁰⁾

توجه إلى آسيا وأمريكا، وآخرون اتجهوا إلى المحيط الهادي. وهكذا، عندما عاد كل هؤلاء وهم محملون بخلفياتهم الفكرية الفلسفية وتجاربههم الإثنوغرافية الجديدة، استطاعوا أن يلعبوا دوراً ليس في تطوير النظرية الأنثروبولوجية فحسب، بل في تعميق النظر في جذورها الفكرية والفلسفية وفي القضايا الإنسانية والوجودية العامة.

الأنثروبولوجيين كانوا مسكونين بتساؤلات وقضايا فكرية ذات طابع إنساني ووجودي عام، تطلب الأمر منهم التوجه إلى الحياة المعاشة بتنوعاتها الاجتماعية والثقافية بهدف البحث عن إجابات وتفسيرات مُمعقة ومقنعة بشأنها. فقد أخذتهم تلك التساؤلات والقضايا إلى مجتمعات غير أوروبية وثقافات غير غربية وبعيدة جداً، فذهب البعض منهم إلى إفريقيا، والبعض الآخر

الهوامش

1 - نورد هنا عددًا من تلك الدراسات الغربية التي نُشرت في هذا الصدد، أما بخصوص ما تم نشره باللغة العربية فلم نتوصل إليه حتى تاريخه، لذا نُحيل القارئ إلى ما نشره كاتب الدراسة الحالية في هذا المجال بين عامي (2004 - 2016م)، راجع تلك الدراسات في قائمة المراجع العربية المرفقة بالدراسة الحالية.

(Clifford, J., *The Predicament of Culture: Twentieth-Century Ethnography Literature, and Art*, (1988); Person and Myth: Maurice Leenhardt in the Melanesian World, Cambridge: Harvard University Press, (1982); "Power and Dialogue in Ethnography: Marcel Griaule's Initiation", In James Clifford, *The Predicament of Culture: Twentieth-Century Ethnography Literature, and Art*, Cambridge: Harvard University Press, (1988); "Tell about Your Trip: Michel Leiris", In James Clifford, *The Predicament of Culture: Twentieth Century Ethnography Literature, and Art*, Cambridge: Harvard University Press, (1988); "On Ethnographic Surrealism", In James Clifford, *The Predicament of Culture: Twentieth-Century Ethnography Literature, and Art*, Cambridge: Harvard University Press, (1988); Parkin, R. & de Sales, A. (eds.), *Out of the Study and Into the Field: Ethnographic Theory and Practice in French Anthropology*, London: Berghahn, (2010); Parkin, R., "French-Speaking Countries", In Sydel Silverman (ed.), *One Discipline, Four Ways: British, German, French, and American Anthropology*, Chicago: University of Chicago Press(2005); Rogers, S., "Anthropology of France", (2001), *Annual Review of Anthropology*, (2001), Vol. 30, 481-504; Stocking, G., "French Anthropology in 1800", In George Stocking, *Race, Culture, and Evolution: Essays in the History of Anthropology*, New York: Free Press, (1986); de L'Estoile, B., "From the Colonial Exhibition to the Museum of Man: An Alternative Genealogy of French Anthropology", (2003), *Social Anthropology*, 11, 3: 341-362; Chevalier, S. (ed.), *Anthropology at the Crossroads: The View from France*, Volume One of the RAI Country Series, London: Sean Kingston Publishing, (2015).

2 - من نماذج ذلك الانخراط في القضايا العامة، دفاع دوركايم وموس على سبيل المثال عن «قضية ديريفوس / Dreyfus Affairs»، ودفاع ليفي ستروس عن نضالات الشعوب ضد الاستعمار والعنصرية، وانخراط بورديو في النضال النقابي للعمال الفرنسيين، وكذلك هجومه اللاذع على إصلاحات الليبرالية الجديدة في فرنسا وعلى الإعلام التلفزيوني، راجع تفاصيل تلك التجارب في الدراسات الآتية: عبدالله عبد الرحمن يتيتم، كلود ليفي ستروس: قراءة في الفكر الأنثروبولوجي المعاصر، دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، 2016.

Lukes, S., *Emile Durkheim: His Life and Work, a Historical and Critical Study*, London: Allen Lane; Penguin Press.(1972); Parkin, R., "The Durkheimians and the Groupe d'Etudes Socialistes". *Durkheimian Studies*, 1997, 3, 1: 43-58; Bourdieu, P., *On Television and Journalism (Sur la Television*, Paris: Liber Edition), trans. P. Ferguson, London: Pluto Press, 1996 [1999] Bourdieu, P., *Acts of Resistance: Against the New Myths of Our Time*, Cambridge: Polity Press, (2000); Sapiro, G., *Sociology is a Martial Art: Political Writings by Pierre Bourdieu*, The New Press, (2010); Bourdieu, P., 1992. "Thinking About Limits". *Theory, Culture & Society*, (1992), Vol. 9 No. 1 pp. 41-3).

3 - (Parkin, R., "French-Speaking Countries", In Sydel Silverman (ed.). *One Discipline, Four Ways: British, German, French, and American Anthropology*. Chicago: University of Chicago Press. (2005), p. 314).

4 - (Ibid., p. 314).

5 - (Ibid., p. 314).

6 - (Ibid., pp. 157-158).

- 7 - راجع في هذا الخصوص ما ذكره ليفي ستروس عن سيرته العلمية والذاتية في «مدارات حزينة».
(Levi-Strauss, C., *Tristes Tropiques*, New York: Atheneum, (1955); Parkin, R., "French-Speaking Countries", In Sydel Silverman (ed.), *One Discipline, Four Ways: British, German, French, and American Anthropology*, Chicago: University of Chicago Press, (2005), p. 158.)
- 8 - (Bourdieu, P., *Outline of a Theory of Practice*, Cambridge University Press: Cambridge, (1977)).
- 9 - أقام «أرنولد فان جنب» عمله الحقلية في الريف الفرنسي خاصة إقليم «سافوا» ولاحقاً في منطقة القصبية في الجزائر خلال عام 1911م، أما «روبرت هيرتز» فقد ذهب في رحلة إلى الجانب الإيطالي من جبال الألب الأوروبية لدراسة جماعة كاثوليكية تجل أحد القديسين المحليين المعروف باسم «القديس بيسو»، انظر دراستنا في هذا الخصوص، أما بشأن تجربة «بعثة دكار- جيبوتي» ودور مارسيل غرويل فيها، فيرجي مراجعة دراسة «جيمس كليفرد» و«روبرت باركن» في هذا المجال: (van Gennep, A., *The Rite of Passage*, Translated from the French by Nonika B. Vizedon and Gabrielle L. Caffee, with Introduction by Solon T. Kimball, London: Routledge & Kegan Paul, (1960); Hertz, R., "Saint Besse, etude d'un culte alpestre", *Revue d'Histoire des Religions*, (1913), 67,2: 115-180; Parkin, R., "French-Speaking Countries", In Sydel Silverman (ed.). *One Discipline, Four Ways: British, German, French, and American Anthropology*, Chicago: University of Chicago Press, (2005); Clifford, J., "Power and Dialogue in Ethnography: Marcel Griaule's Initiation", In James Clifford, *The Predicament of Culture: Twentieth-Century Ethnography Literature, and Art*, Cambridge: Harvard University Press, (1988).)
- 10 - لمزيد من التفاصيل حول السياق الأكاديمي والتاريخي لتلك التجاذبات والسجلات بين فان جنب ودوركايم، راجع: (Thomassen, B., «Emile Durkheim between Gabriel Tarde and Arnold van Gennep: Founding Moments of Sociology and Anthropology», *Social Anthropology*, (2012), 20, 3: 231-249; Zumwalt, R., "Arnold van Gennep: The Hermit of Bourg-la-Reine", *American Anthropologist*, (1982), 84, 2: 299-313, van Gennep, A., *The Semi-Scholars*, translated and edited by Rodney Needham. [Les demi-savants, Paris, 1911]. London: Routledge and Kegan Paul, (1967)).
- 11 - (Parkin, R., "French-Speaking Countries", In Sydel Silverman (ed.). *One Discipline, Four Ways: British, German, French, and American Anthropology*. Chicago: University of Chicago Press. (2005), p. 159.)
- 12 - (Adams, W. Y., *The Philosophical Roots of Anthropology*. Stanford, Calif.: Center for Study of Language and Information, (1988), p. 377).
- 13 - تعتبر أعمال مثل «الإنسان التراتبي: نظام الكاست ومتضمناته» لـ لويس دومون، و«حول إنتاج الرجال العظام الهيمنة والقوة الذكورية بين الباريا في غينيا الجديدة» لموريس غودلييه، الأبرز في هذا المجال: Dumont, L., *Homo hierarchicus: Le Systeme des castes et ses implications*, Paris: Gallimard, (1966); Godelier, M., *The Making of Great Men: Male Domination and Power among the New Guinea Baruya* [La production des Grands Hommes. Pouvoir et domination masculine chez les Baruya de Nouvelle Guinée, [1982], Cambridge: Cambridge University Press. (1986).
- 14 - (Parkin, R., "French-Speaking Countries", In Sydel Silverman (ed.). *One Discipline, Four Ways: British, German, French, and American Anthropology*. Chicago: University of Chicago Press. (2005), p. 159.)
- 15 - Leavitt, J., "French Anthropology", In Alan Barnard and Jonathon Spencer (ed.), *Encyclopedia of Social and Cultural Anthropology*, London: Routledge, (1996).
- 16 - حول هذه المظاهر ومعالم أخرى من المدرسة الأنجلوساكسونية، راجع: (عبدالله عبدالرحمن يتييم، دفاتر أنثروبولوجية: سير وحوارات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 2004.
- Stocking, G. (ed.), *Functionalism Historicized: Essays on British Social Anthropology*, Madison: The

University of Wisconsin Press, (1984); Stocking, G. (ed.), *Observers Observed: Essays on Ethnographic Fieldwork*, Madison: The University of Wisconsin Press, (1984).

17 - عن البدايات المبكرة للأنثروبولوجيا الفرنسية، راجع «جورج ستوكنج»: (Stocking, G., «French Anthropology in 1800», In George Stocking, *Race, Culture, and Evolution: Essays in the History of Anthropology*, New York: Free Press, (1986).)

18 - (Fournier, M., *Marcel Mauss: A Biography*, Translated by Jane Marie Todd, Princeton: Princeton University Press, (2005); Mille, R. R., «Sociology, Primitivism and Museums: The Museology of George Henri Rivière, Follower of Marcel Mauss», *Durkheimian Studies*, (n.s.), (2003.), 9:1: 68-84.)

19 - (Clifford, J., *Person and Myth: Maurice Leenhardt in the Melanesian World*, Cambridge: Harvard University Press, (1982).)

20 - (Clifford, J., «On Ethnographic Surrealism», In James Clifford, *The Predicament of Culture: Twentieth-Century Ethnography Literature, and Art*, Cambridge: Harvard University Press, (1988); Clifford, J., «Tell about Your Trip: Michel Leiris», In James Clifford, *The Predicament of Culture: Twentieth Century Ethnography Literature, and Art*, Cambridge: Harvard University Press, (1988).)

21 - (Clifford, J., «Power and Dialogue in Ethnography: Marcel Griaule's Initiation», In James Clifford, *The Predicament of Culture: Twentieth-Century Ethnography Literature, and Art*, Cambridge: Harvard University Press, (1988).)

22 - (Ibid.)

23 - لمزيد من التفاصيل عن الجوانب الأنثروبولوجية لفكر دوركايم وتأثيره على النظرية الأنثروبولوجية، راجع في هذا الخصوص:

(Levi-Strauss, C., «What Ethnology Owes to Durkheim» In Claude Levi-Strauss, *Structural Anthropology*, (Vol.II), London: Penguin Books, (1973); Thomassen, B., «Emile Durkheim between Gabriel Tarde and Arnold van Gennep: Founding Moments of Sociology and Anthropology», *Social Anthropology*, (2012), 20, 3: 231-249.)

24 - (Mauss, M., *The Gift: Forms and Functions of Exchange in Archaic Society*, Glencoe, Ill.: Free Press, (1925); Hubert, H. & Mauss, M., «Les techniques du corps», *Journal de psychologie*, (1936); Hubert, H. & Mauss, M., «Esquisse d'une theorie generale de la magie», *Année sociologique*, Vol. 7, (1904).)

25 - الجدير بالذكر أن مارسيل موس لم يقم بكتابة مؤلفات مستقلة، حيث كانت معظم أعماله عبارة عن دراسات ومقالات قام بنشرها في «حولية علم الاجتماع» بما فيها المجلدات الثلاثة من «الأعمال»، حيث اشتملت تلك المجلدات على مقالاته ومراجعاته التي سبق وأن نشرها في «حولية علم الاجتماع» ودوريات فرنسية أخرى، راجع: (Mauss, M., *Oeuvres*, (3 vols.), Paris: Minuit, (1968-89).)

26 - حول العلاقة بين الأنثروبولوجيا الفرنسية والمتاحف، انظر الدراسات الآتية: (de L'Estoile, B., «Can French Anthropology Outlive its Museums», In Sophie Chevalier (ed.), *Anthropology at the Crossroads: The View from France*, Volume One of the RAI Country Series. London: Sean Kingston Publishing, pp. 81-104, (2015).); de L'Estoile, B., «From the Colonial Exhibition to the Museum of Man: An Alternative Genealogy of French Anthropology», *Social Anthropology*, Dec., 341-361, (2003); Rival, L., «What Sort of Anthropologist was Paul Rivet?», In Robert Parkin, & Anne de Sales (eds.), *Out of the Study and into the Field: Ethnographic Theory and Practice in French Anthropology*. New York & Oxford: Berghahn, (2010), pp. 125-150.)

- 27 - (Rogers, S., "Anthropology of France", Annual Review of Anthropology, (2001), Vol. 30, 487-488.)
- 28 - من نماذج تلك الدراسات، انظر أعمال «مانويل لو دوري» في الخصوص، وكذلك عدد من الدراسات التي تناولت تجربة مدرسة الحوليات: (وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ: اتجاهات، مدارس، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.
- أندريه بورغيار، الأنثروبولوجيا التاريخية، في جاك لوغوف» (تحرير)، التاريخ الجديد، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2007.
- جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2007.
- فرانسوا دوس، التاريخ المفتت: من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2009.
- Le Roy Ladurie, E., Montailou: Cathers and Catholics in a French Village, 1294-1324, London: Scolar Press, (1978); Le Roy Ladurie, E, The Peasants of Languedoc, Urbana: University of Illinois Press, (1982).
- 29 - عن علاقة الأنثروبولوجيا بالتاريخ في مسيرة الأنثروبولوجيا الفرنسية، خاصة لجهة علاقتها بمدرسة «الحوليات»، وعلاقة ليفي ستروس برائد مدرسة الحوليات «فرناند بروديل»، راجع في هذا الخصوص معالجة «فرانسوا دوس» في عمله المعروف «التاريخ المفتت» وتلك الخاصة أيضاً بـ «جان غاوي»: فرانسوا دوس، التاريخ المفتت: من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2009.
- Goy, J., «Histoire Rurale», In A. Burguiere (ed.). Dictionnaire des Sciences Historiques. Paris: Presses Univ. France, (1986), pp. 609-615.)
- 30 - (Rogers, S., "Natural Histories: The Rise and Fall of French Rural Studies", French History Studies, (1995), 19, 381-397.)
- 31 - (Rogers, S., "Anthropology of France", Annual Review of Anthropology, (2001), Vol. 30, p. 493.)
- 32 - انظر عرضاً لتلك المقالات الواردة في عدد مجلة «الإنسان»، في دراسة سوزان روجرز: L'Homme. Revue Francaise d'Anthropologie, Vol. 26a, No. 97/98, (1986); Rogers, S., "Anthropology of (France", Annual Review of Anthropology, Vol. 30, (2001).
- 33 - (Rogers, S., "Anthropology of France", Annual Review of Anthropology, Vol. 30, (2001).)
- 34 - (Ibid.)
- 35 - (Pouillon, J., " Introduction: de chacun a tout autre, et reciproquement", In L'Homme. Revue Francaise d'Anthropologie, (1986), 26a, 97/98, p. 18.)
- 36 - (Rogers, S., "Anthropology of France", Annual Review of Anthropology, Vol. 30, (2001), pp. 491-492.)
- 37 - نذكر منها على سبيل المثال، الأعمال الآتية:
(Vialles, N., Le San et la Chair: Les Abatoirs des pays de l'Adour, Paris: Edit. Maison Sci. L'Homme, (1987); Moulinie, V. 1998. La Chirurgie des AGes: Corps, Sexualite et Representations du Sang, Paris: Edit. Maison Sci. L'Homme, (1998); Voisenat, C. (ed.), Paysage au Plurei: Pour une Approche Ethnologique de Paysages, Paris: Edit. Maison Sci. L'Homme, (1995); Fabre, D. (ed.), Par Ecrit: Ethnologie des

Ecritures Quotidiennes, Paris: Edit. Maison Sci. L'Homme, (1997); Bromberger, C. & Chevallier, D. (eds.), Carieres des Objects: Innovations et Relances, Paris: Edit. Maison Sci. L'Homme, (1999).
38 - (Rogers, S., "Anthropology of France", Annual Review of Anthropology, Vol. 30, (2001), p. 493).

39 - انظر نماذج من تلك الدراسات:

(Pincon, M. & Pincon-Charlot M., La Chasse a Courre: Ses Rites et ses Enjeux, Paris: Payot, (1993);
Pincon, M. & Pincon-Charlot M., Dans les Beaux Quartiers, Paris: Seuil, Paris: Seuil, (1989)).

40 - (Bouvier, P., Socio-Anthropologie du Contemporain, Paris: Galitsee, (1995)).

Bouvier, P., La Socio- Anthropologie, Paris: Colin, (2000).

المراجع العربية:

- أندريه بورغيار، الأنثروبولوجيا التاريخية، في جاك لوغوف (تحرير)، التاريخ الجديد، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2007.
- جاك لوغوف (تحرير)، التاريخ الجديد، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2007.
- عبدالله عبد الرحمن يتيم، كلود ليفي ستروس: قراءة في الفكر الأنثروبولوجي المعاصر، دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، 2016.
- ____. أميل دوركايم: ملحم من حياته وفكره الأنثروبولوجي، إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد 25، 2014.
- ____. ميشيل ليريس: تقاطعات الأدب والأنثروبولوجيا، مجلة الآداب، جامعة الملك سعود، المجلد 25، 3، 2013.
- ____. أرنولد فان جنب وحيداً في مواجهة دوركايم: ملحم من تاريخ الأنثروبولوجيا الفرنسية، مجلة الفنون الشعبية، العدد 90، يناير 2012.
- ____. بيير بورديو أنثروبولوجياً، إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع، العدد 14، 2011.
- ____. لويس دومون: حياة وفكر أنثروبولوجي فرنسي، مجلة جدل، المجلد الأول، العدد 1، 2010.
- ____. المدرسة الأنثروبولوجية الفرنسية: مارسيل موس نموذجاً، مجلة الثقافة الشعبية، المجلد 2، العدد 6، 2009.
- ____. دفاتر أنثروبولوجية: سير وحوارات، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، 2004.
- ____. سعيًا وراء الوقائع الإثنوغرافية: بعض من البدايات الأوروبية، مجلة ثقافات، العدد 4، 2003.
- فرانسوا دوس، التاريخ المفتت: من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2009.
- وجيه كوثراني، تاريخ التأريخ: اتجاهات، مدارس، مناهج، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.

المراجع الأجنبية :

- Adams, William Yewdale. *The Philosophical Roots of Anthropology*. Stanford, Calif.: Center for Study of Language and Information, 1988.
- Bourdieu, Pierre. *Acts of resistance: Against the new myths of our time*. Cambridge: Polity Press, 2000.
- _____. *On Television and Journalism (Sur la Television, Paris: Liber Edition)*. trans. P. Ferguson. London: Pluto Press, 1996.
- _____. "Thinking About Limits". *Theory, Culture & Society*. 9, 1 (1992): 41-3.
- _____. *Outline of a Theory of Practice*. Cambridge Univeristy Press: Cambridge, 1977.
- Bouvier, Pierre. *Socio-Anthropologie du Contemporain*. Paris: Galittee, 1995.
- _____. *La Socio- Anthropologie*. Paris: Colin, 2000.
- Bromberger, Christian & Chevallier, Denis (eds.). *Carieres des Objects: Innova tions et Relances*. Paris: Edit. Maison Sci. L'Homme, 1999.
- Chevalier, Sophie (ed.). *Anthropology at the Crossroads: The View from France*. Volume One of the RAI Country Series. London: Sean Kingston Publishing, 2015.
- Clifford, James. *Person and Myth: Maurice Leenhardt in the Melanesian World*. Berkeley: University of California Press, 1982.
- _____. "Power and Dialogue in Ethnography: Marcel Griaule's Initiation". In James Clifford. *The Predicament of Culture: Twentieth-Century Ethnography Literature, and Art*. Cambridge: Harvard University Press, 1988.
- _____. *The Predicament of Culture: Twentieth-Century Ethnography Literature, and Art*. Cambridge: Harvard University Press, 1988.
- _____. "On Ethnographic Surrealism". In James Clifford. *The Predicament of Culture: Twentieth-Century Ethnography Literature, and Art*. Cambridge: Harvard University Press, 1988.
- _____. "Tell about Your Trip: Michel Leiris". In James Clifford. *The Predicament of Culture: Twentieth Century Ethnography Literature, and Art*. Cambridge: Harvard University Press, 1988.
- de L'Estoile, Benoit. "From the Colonial Exhibition to the Museum of Man: An Alternative Genealogy of French Anthropology". *Social Anthropology*. 11, 3: (2003) 341-362.

- _____. "Can French Anthropology Outlive its Museums". In Sophie Chevalier (ed.). *Anthropology at the Crossroads: The View from France*. Volume One of the RAI Country Series. London: Sean Kingston Publishing, 2015, pp. 81-104.
- Dumont, Louis. *Homo hierarchicus: Le Systeme des castes et ses implications*. Paris: Gallimard, 1966.
- Fabre, Daniel (ed.). *Par Ecrit: Ethnologie des Ecritures Quotidiennes*. Paris: Edit. Maison Sci. L'Homme, 1997.
- Fournier, Marcel. *Marcel Mauss: A Biography*. Translated by Jane Marie Todd. Princeton: Princeton University Press, 2005.
- Godelier, Maruice. *The Making of Great Men: Male Domination and Power among the New Guinea Baruya* [La production des Grands Hommes. Pouvoir et domination masculine chez les Baruya de Nouvelle Guinée, [1982]. Cambridge: Cambridge University Press, 1986.
- Goy, Jean. "Histoire Rurale". In A. Burguiere (ed.). *Dictionnaire des Sciences Historiques*. Paris: Presses Univ. France, 1986, pp. 609-615.
- Hertz, Robert. 1913. "Saint Besse, etude d'un culte alpestre". *Revue d'Histoire des Religions*. 67, 2 (1913): 115-180.
- Hubert, Henri & Mauss, Marcel. "Les techniques du corps". *journal de psychologie*, 1936.
- _____. & Mauss, Marcel. "Esquisse d'une theorie generale de la magie". *Annee sociologique*. (1904). Vol. 7.
- Leavitt, John. "French Anthropology". In Alan Barnard and Jonathon Spencer (ed.). *Encyclopedia of Social and Cultural Anthropology*. London: Routledge, 1996.
- Le Roy Ladurie, Emmanuel. *The Peasants of Languedoc*. Urbana: University of Illinois Press, 1982.
- _____. *Montaillou: Cathers and Catholics in a French Village, 1294-1324*. London: Scolar Press, 1978.
- L'Homme*. *Revue Francaise d'Anthropologie*. Vol. 26a, No. 97/98, 1986.
- Levi-Strauss, Claude. "What Ethnology Owes to Durkheim" In Claude Levi-Strauss. 1973. *Structural Anthropology* (Vol.II). London: Penguin Books, 1973.

- _____. *Tristes Tropiques*. New York: Atheneum, 1955.
- Lukes, Steven. *Emile Durkheim: His Life and Work, a Historical and Critical Study*. London: Allen Lane; Penguin Press, 1972.
- Mauss, Marcel. *The Gift: Forms and Functions of Exchange in Archaic Societies*. Glencoe, Ill.: Fress Press, 1925.
- _____. *Oeuvres* (3 vols.). Paris: Minuit, 1968-89.
- Mille, Raymond de la Rocha. "Sociology, Primitivism and Museums: The Museology of George Henri Rivière, Follower of Marcel Mauss". *Durkheimian Studies*. (n.s.) 9 (2003): 68-84.
- Moulinie, Veronique. *La Chirurgie des ages: Corps, Sexualite et Representations du Sang*. Paris: Edit. Maison Sci. L'Homme, 1998.
- Parkin, Robert & de Sales, Anne (eds.). *Out of the Study and Into the Field: Ethnographic Theory and Practice in French Anthropology*. London: Berghahn, 2010.
- _____. "French-Speaking Countries". In Sydel Silverman (ed.). *One Discipline, Four Ways: British, German, French, and American Anthropology*. Chicago: University of Chicago Press, 2005.
- _____. "The Durkheimians and the Groupe d'Etudes Socialistes". *Durkheimian Studies*. 3, 1 (1997): 43-58.
- Pincon, Michel & Pincon-Charlot, Monique. *La Chasse a Courre: Ses Rites et ses Enjeux*. Paris: Payot, 1993.
- _____. *Dans les Beaux Quartiers*. Paris: Seuil, 1989.
- Pouillon, Jean. "Introduction: de chacun a tout autre, et reciproquement". In *L'Homme. Revue Francaise d'Anthropologie*. 26a, 97/98 (1986): 11-22.
- Rival, Laura. 2010. "What Sort of Anthropologist was Paul Rivert?" In Robert Parkin, & Anne de Sales (eds.). 2010. *Out of the Study and into the Field: Ethnographic Theory and Practice in French Anthropology*. New York & Oxford: Berghahn, (2010), pp. 125-150.
- Rogers, Susan. "Anthropology of France". *Annual Review of Anthropology*. Vol. 30 (2001):481-504.
- _____. 1995. "Natural Histories: The Rise and Fall of French Rural Studies". *French History Studies*. 19 (1995):381-397.

- Sapiro, Gisele. *Sociology is a Martial Art: Political Writings by Pierre Bourdieu*. The New Press, 2010.
- Stocking, George. "French Anthropology in 1800". In George Stocking. *Race, Culture, and Evolution: Essays in the History of Anthropology*. New York: Free Press, 1986.
- _____. (ed.). *Functionalism Historicized: Essays on British Social Anthropology*. Madison: The University of Wisconsin Press, 1986.
- _____. (ed.). *Observers Observed: Essays on Ethnographic Fieldwork*. Madison: The University of Wisconsin Press, 1984.
- Thomassen, Bjorn. "Emile Durkheim between Gabriel Tarde and Arnold van Gennep: Founding Moments of Sociology and Anthropology". *Social Anthropology*. 20, 3 (2012): 231-249.
- van Gennep, A., 1967. *The Semi-Scholars*, translated and edited by Rodney Needham. [*Les demi-savants*, Paris, 1911]. London: Routledge and Kegan Pau, 1967.
- _____. *The Rite of Passage*. Translated from the French by Nonika B. Vizedon and Gabrielle L. Caffee, with Introduction by Solon T. Kimball. London: Routledge & Kegan Paul, 1960.
- Vialles, Noélie. *Le San et la Chair: Les Abatoirs des pays de l'Adour*. Paris: Edit. Maison Sci. L'Homme, 1987.
- Voisenat, Claudie (ed.). *Paysage au Plurei: Pour une Approche Ethnologique de Paysages*. Paris: Edit. Maison Sci. L'Homme, 1995.
- Zumwalt, Rosemary. "Arnold van Gennep: The Hermit of Bourg-la-Reine". *American Anthropologist*. 84, 2 (1982): 299-313.